ملعبة

الكفيف الزرهوني

تقديم وتعليق وتحقيق

الدكتور محمد بن شريفة
أستاذ كرسي الأدب الأندلسي
وعضو أكاديمية المملكة المغربية

المطبعة الملكية – الرباط
1407هـ – 1987م

مُقدمَة

من حسن الحظ ان عوادي الزمان ، ونوائب الحدثان ، أبقت لنا على نص شعري البناء ، عامي اللهجة ، ملحمي المنحى ، سياسي المنزع ، تاريخي المضمون ، يتسم بالطرافة ، ويتميز بالأهمية ، ويتصف بالابداع ، ويتجلى كل ذلك فيما يلي :

أ ـ انه أقدم وثيقة تاريخية حول حدث بارز ، هزّ كيان المغرب الكبير في وقته ، الا وهو « الحركة » التي قام بها السلطان الكبير أبو الحسن المريني ، من المغرب الأقصى إلى المغرب الأدنى ، لتوحيد المغارب في مغرب كبير من أجل مصلحة الدنيا والدين .

ب ـ أنه وثيقة" كبيرة الفائدة ، في الدّلالة على طبيعـة العاميـة المغربية في عصر بني مرين .

ج ـ أنه دليل" جديد على أصالة السّرد القصصي والنفس الملحمي في القريحة الشعرية العربية على العموم ، والشعبية على الخصوص.

هذا النص صاحب هذه المزايا ، هو قصيدة الشاعر الشّعبي الكفيف الزرهوني التي « يذكر فيها حركة أبي الحسن المريني رحمه الله إلى القيروان ، وانهزامه بذلك المكان . » كما جاء في طالعة النسخة الخطية الوحيدة للقصيدة .

وقد أطلـق ابن خلدون على هـذه القصيدة التي كان يحفظها اسم الملعبة ، وهي فن من عَروض البلد الذي سنشرحه فيما بعد ، وتحدث عن فحول هذا الفن ، ومنهم الكفيف الزرهوني الذي يقول فيه :

« وكانَ لهذه العُصور القريبة ، من فحولهم بزرهون من شواحي مكناسة ، رجلٌ يُعرف بالكفيف أبْدَعَ في مذاهب هذا الفن ، ومن أحسن ما علقَ له بمحفوظي ، قوله في رحلة السلطان أبي الحسن وبني مرين إلى إفريقية يصف هزيمتهم بالقيروان ، ويعزّيهم عنها ، ويؤسّيهم بما وقع لغيرهم ، بعد أن عيّبهم على غزاتهم إلى افريقية ، في ملْعبة من فنون هذه الطريقة ، يقول في مفتتحها ، وهو من أبدع مذاهب البلاغة ، في الاشعار بالمقصد في مطلع الكلام وافتتاحه ، ويُسمّى براعة الاستهلال :

سبْحان مالِك خواطر الأمْرا ونواصيها في كلّ حين وزمان
إن طعناه عظم لنا نصْرا وإن عصيناه عاقبْ بكلّ هوان

إلى ان يقول في السؤال عن جيوش المغرب بعد التخلص :

كنْ مرْعي قالْ ولا تكن راعي فالرّاعي عنْ رعيته مسؤولْ

وبعد أن سرد قسما من هذه القصيدة قال :

« ثم اخذ في ترحيل السلطان وجيوشه الى آخر رحلته ، ومنتهى امره مع أعراب افريقية ، وأتى فيها بكل غريبة من الابداع . » (1)

لم يذكر ابن خلدون اسم شاعرنا المبدع صاحب الملعبة التي اثنى عليها ، واقتصر على لقبه ونسبته ، وهما مذكوران أيضا في آخر الملعبة ، وقد عثرنا على اسمه في تمهيد لقصيدة اخرى من كلامه موجودة ضمن مجموع مخطوط بالخزانة العامة في تطوان ، وهذا نصّ التمهيد : « ومن كلام سيدي عبد الله الكفيف الزرهوني رضي الله عنه ونفعنا به » (2) ومن المؤسف أننا لم نجد له ذكراً عند غير ابن خلدون ومن نقل عنه فيما وقفنا عليه .

---

1) مقدمة ابن خلدون ج 4 ص 1470 تحقيق د. علي عبد الواحد وافي. (ط.ث)

2) مجموع خ. ع. ت رقم 549 ص 303 . ومن هذا نستفيد ان شاعرنا يسمى عبد الله ، وقد ترجم ابن العماد الحنبلي في الشذرات لفقيه محدث مغربي الاصل اسمه : يحيى بن عبد الله الزرهوني ، اشتغل بتدريس الفقه المالكي والحديث في مصر وتخرج به المصريون وله تصانيف . توفي سنة 773 هـ ، وهو هكذا من حيث التاريخ يصلح ان يكون ولدا لسيدي عبد الله الكفيف الزرهوني شاعرنا ، ولكن لا يوجد ما يثبت الصلة بين الرجلين . انظر شذرات الذهب 6 : 230 .

وكل ما يمكن أن نستفيده من قصيدته ، ومن كلام ابن خلدون ، أنه كان شيخا ضريرا ، في عهد السلطان ابي الحسن المريني ، وكلام ابن خلدون واضح في أنه كان مقيما بزرهون ، وقد وردت إشارة في آخر ملعبته ، قد تفيد أنه لم يكن بعيدا عن فاس ، فهو يتحدث عنها حديث القريب ، وفاس على كل حال غير بعيدة عن زرهون ، ويبدو أنه لم يعش كثيرا ، بعد نظم قصيدته التي نرجح أنه أنشأها عقب الحادثة مباشرة او في خلالها اي في منتصف القرن الثامن الهجري ، وفي هذا التاريخ كان الطاعون الجارف الذي قضى على كثير من الناس (3) . وقد يكونْ صاحبنا من بينهم .

وفي الملعبة إشارات تلقي شيئا من الضوء على هذا الشاعر الشعبي الذي كان من جملة من أهملتهم كتب التراجم ، ولكن هذه الاشارات لا تخلو من مشكلات .

اولى هذه الاشارات تتعلق بأصله ومنبته ومرباه ، وهي قوله :

والمرْبي في الأصل وفي الجِدْرا صاروية صريحة الألْبانْ

والاشكال هنا يتمثل في صورة الكلمة التي وردت مرسومة في الاصل كما اثبتنا ، ولم نقف على بلد او قبيل يحمل الاسم كما هو في المخطوط الذي وجدنا فيه أخطاء متعددة ، وبما انه لا توجد نسخة اخرى ، فاننا نعتبر الاسم تحريفا لصاريوة التي ورد ذكرها في عدد من المصادر كما يلي :

– صاريوة : قبيلة في بني يازغة (أخبار البيدق : 71 بيوتات فاس : 43) .

– صاريوة : مدشر قديم في بني يازغة ، هاجر اليه بعض الأدارسة . (سلوة الأنفاس 2 : 18) .

---

3) تحدث عنه المؤرخون ، وقد مات فيه عدد من العلماء المشهورين وغيرهم .

– صاريوة حومة قديمة بفاس نزلها جماعة من اهل المدشر المذكور ، وفيها مدفن سيدي بوغالب الصاريوي الادريسي ، (سلوة الأنفاس 2 : 18) وقد ورد الاسم مكتوباً هكذا : صريوة في التقاط الدرر للقادري (2 :208) ومثل هذه الصيغة تتعرض للتحريف في الكتابة والنطق كما نجد في بطوية وبطيوه وبقوية وبقيوة .

وما يزال مدشر صريوة موجوداً بهذا الاسم الى اليوم وهو يقع بين صفرو والمنزل ، ومن المنسوبين الى صاريـوة الحاج ابـو عمران موسى الصاريوي (التشوف : 288 تحقيق احمد التوفيق) .

وعلى فرض نسبة شاعرنا الى صاريوه لا نعرف الى ايّها ينتسب ، وقد نستأنس بطابع اللهجة الجبلية الموجود في القصيدة وبموهبة النظـم الموجودة عند بني يازغة الى اليوم ، فنذهب الى انه نشأ بين ظهرانيهم اولاً ، ثم انتقل بعد ذلك الى مدينة زرهون ، التي تربطها صلات روحية بصاريوة ، فقد هاجر الى هذه الاخيرة بعض الأدارسة في عهد مغراوة ، كما ان اليازغيين كانوا يفدون على مدينة زرهون ويقطنون بها ، وهم يؤلفون اليوم عنصراً من عناصر سكانها ، وحي بني يازغة من احياء زرهون المشهورة .

وتجدر الاشارة هنا الى ان الشاعر يستمد بعض تشبيهاته من مواقع غير بعيدة عن صاريوه وزرهون ، فقد شبّه قرقورةً ضخمة بجبل تيـزران الذي خصه الحسن الوزان بمادة قصيرة (4) ، وثمة تشبيه آخر قد يدل على مصارعة الأسود التي كانت معروفة في بلاط المرينيين بفاس ، وكان يقوم بها اهل زرهون (5) ، ومن اسماء الأماكن التي لها صلة بمجاله الجغـرافي ، وذكرها في قصيدته : أزغار (منطقة الغرب) ، سبو ، ردات ، ردوم ، بهت ، خـولان .

4) وصف افريقيا ج 1 ص 332 ترجمة د. محمد حجي و د. محمد الاخضر .

5) المصدر نفسه ج 1 ص 294 .

وبالاضافة الى لهجة جبالة العربية الواضحة في القصيدة فان الشاعر يستعمل كلمات بربرية تمثل تجاور اللهجات او ازدواجيتها في المنطقة .

والاشارة المشكلة الثانية ان الكفيف ذكر في آخر قصيدته احـد شيوخ الزّجل وختم الملعبة بمطلع زجل – فيما يبدو – لهذا الشاعر ، وذلك اذ يقول :

واسْتَغْفر ياكْفيف لابن حَسّونْ … وتَفكَّرْ ماذْكَرْ في عامْ ستّا :
« فَجّعْني صَيْحة النّجيبْ بكْرا … حينْ رَحْلو ركائـب الغزْلان
وامْستْ منْ بعْدم الديار قفْـرا … ما فيهم لا إنْس ولا عمْرانْ »

ولا نعرف على وجه اليقين من ابو حسون المذكور ، ولا ما هو عام ستا الذي ذكره الشاعر هكذا باختصار ، وربّما كان الاشكال يرتفع ، لـو وقفنا على الزجل المشار اليه ، وقد يكون بداية ملعبة لابن حسون حذا حذوها الكفيف ، وثمة زجّال كبير يدعى فعلاً ابن حسون ، وهو أبو عبد الله محمد بن حسون الحلاء المغربي ، ذكره هكذا الحلّي في « العاطل الحالي » خمسَ عشْرة مرة (6) ، واستشهد بمقاطع من أزجاله ، ومنها زجل موجه" الى الوزير الطبيب الماهر الفيلسوف الجليل المقدار » ويبدو لي والله أعلم انه ابراهيم ابن الفخار الذي له مخاطبات شعرية مع بعض شعراء الأندلس ، وقد عاش فترة في اشبيلية ، ثم انحاز الى الفونسو VIII في طليطلة ، وسفر بينه وبـين الموحدين ، سنة 612 هـ (7) ، وعلى هذا – اذا جاز – يكون ابن حسون المذكور من أهل القرن السابع ، وقد صنّفه استاذنا المرحوم الأهواني مع زجّالي هذا القرن بالفعل (8) .

6) العاطل الحالي ، تحقيق د. حسين نصار ، ص. ص: 29 ، 36 ، 41 ، 42 ، 44 ، 50 ، 51 ، 55 ، 67 ، 68 ، 70 ، 71 ، 73 ، 80 .

7) انظر الروض المعطار : 348 والبيان المغرب 3 : 244 والمغرب لابن سعيد 2 : 43 (ط. ث) ونفح الطيب 3 : 527 ، تحقيق د. احسان عباس .

8) الزجل في الاندلس : 117 – 118 .

كما اننا لا نعرف ما يقصده الكفيف بعام « ستا » . هل يقصد عام 600 هـ أم يقصد عام 606 هـ أم 706 ام انه ارخ بحروف ستا = 701 . فكل هذا جائز . وهنا محط الاشكال في هذه الاشارة .

وثمة إشارات اخرى مشكلة ايضا في القصيدة كقول الكفيف :

امَوْلاي بولحسَنْ خطينا البْابْ   في قضية سـرْنـا لتونـس

وقولـه :

ايـامْ وليالي واودية وأوعـارْ   وقبائل كالذّياب تدورْ بينـا

وقوله :

انظـر هـذا النّقانـف الارْبـع   كف عمّتْ جيشْنا ولئى سافِـي

فهذه الأبيات وشبهها في القصيدة ، والوصف الدقيق لمراحل « الحركة » وملابساتها ، تجعلنا نتساءل عمّا إذا كان الشاعر ممن ساروا في ركاب « الحركة » من اهل العلم والأدب (9) . بيد أنّ سؤاله في اول القصيدة عن مصير جيوش السلطان ، واشارته الى روايَة بعض الأخبار بالسماع يبعد هذا التساؤل .

ومع ذلك فلا نستبعد صلة الشاعر بأبي الحسن المريني . فقد كان العصر عصر ازدهـار الزجل في المغرب والمشرق ، وقـد تعاصر الكفيف الزرهوني وابن شجاع التازي (10) في العهد المريني بالمغرب مع خلـف الغباري وابراهيم المعمار من العهد المملوكي بالمشرق ، وكان آل برقـوق

---

(9) ذكر بعض المؤرخين ان عدد العلماء الذين رافقوا ابا الحسن بلغ نحـو اربعمائة عالم . انظر نفح الطيب 6 : 215 والاستقصا 3 : 171

(10) انظر في ابن شجاع مقدمة ابن خلدون ج 4 ص 1469 وازهار الرياض 1 : 123 .

وغيرهم من المماليك يقربون الزجالين ويثيبونهم . كما كان بنو مرين يقيمون المباريات للانشاد الشعبي ويمنحون الجوائز للفائزين (11) .

ومهما يكن الأمر فاننا نجد الشاعر يَهدي قصيدته الى السلطـان ابي الحسن قائلا :

نهْدي لَو مينْ بناتي الصّغرا   منْ هـيْفات الكفيفْ بلا اثمان

ويبدو انه فرغ من نظمهما قبيل انجلاء آخر مرحلة في محنة السلطان الكبير لأن اخر حادثة سجلها فيها هي غرقْ أسطوله ، ولعلّ الشّاعر ظـلّ متشبثا بالسّلطان ابي الحسن حتى وفاته ، إذ أنه بعد الاشارة الى غـرق الأسطول يدعو له في آخر القصيدة :

ينصرْ دَولة علـي على الجـمْلا   فارْض المَشرِق وفارْضنا هاذي

لقد كان الشاعر معجبا بالسلطان ابي الحسن ، متعلّقا بشخصه ، متحسّرا على ما نزل به ، موبّخا لمن خانه ، ولو انه انتقد حركته او حملته على افريقية كما سنذكر فيما بعد ، وها هو يعبّر عن لوعته ، ولوعة اهـل الدين والفضل ، لما نزل بأبي الحسن في هذه الأبيات :

لو كانتْ فاس تَكلى وريمْ حرّا   طول عمْرا كانْ تلبْس ابطانْ
كذا اهل الدين في غضبتم معنا   كالقاضي والمدرّس الاكبـر
في كلْ نْهارْ يدْعو لمولْتـنـا   بذا الكرسي وفوقْ على المنبر
والمغرب كانْ في اكبر مْحنا   منْ ضيْم الذّل وزْمان لغدّرْ
كتْبْ الغرب القديم من ارض السّوس   لأرض السّاحل ، لمنْتهى دَرْعا
للسّلطان المحْجبْ المحْبوس   في المَشرق منْ حريقة الفجـا

---

(11) انظر : الأدب العامي في مصر في العصر المملوكي ، تاليف احمد صادق الجمال ، ووصف افريقيا للوزان ج 1 ص 246 .

مالداها لاحمام ولا طاووس ** إلا البوم والغراب أبو الفجعا
فيها : أمولاي هجرتنا هجرا ** لو ريتنا بعدك ياحياة لبدان
نكسوا بالذل حلة حمرا ** بعدا كنا في دوحة الريحان

ولا نحسب ان هذا الولاء كان مجرد مشاركة وجدانية من الشاعر للأمة التي أجمعت على حب هذا السلطان ، فدعته الخاصة بأبي الحسنات (12) ، واطلقت عليه العامة السلطان الاكحل (13) ، ونسجت حوله الاساطير ، وبكته الشعراء بقصائد رائقة تعبر عما خلفه موت هذا السلطان من لواعج الاسى كما يقول الحسن الوزان في وصف افريقيا (14) .

لقد كان شاعرنا الشعبي على صلة وثيقة ببعض حاشية السلطان ، فقد اشار في قصيدته إلى حديث جرى بينه وبين الوزير عيسى بن الحسن الذي كان على راس المعارضين لحركة السلطان الى افريقية ، كما أن الأخبار التي ضمنها الشاعر ملحمته ، تتفق في جملتها مع ما ذكره ابن مرزوق وابن خلدون وغيرهما من المؤرخين المعاصرين للأحداث ولا شك انه استقى اخباره من المقربين من السلطان او من بعض العائدين الذين شهدوا الأحداث واشتركوا فيها ، وهذا يجعلنا نعتبر القصيدة وثيقة تاريخية في مستوى كلام ابن مرزوق وابن خلدون حول تلك الاحداث ، بل ان بعض القرائن تشير الى انها كانت من مصادر ابن خلدون في حديثه عنها ، وهي تزيد على ذلك بأنها تعكس بعض الاصداء والمواقف الشعبية التي يغفلها المؤرخون .

اشار الكفيف في آخر ملعبته الى بنات أفكاره ، اي قصائده ، ويفهم من عبارته ان الملعبة هي أصغرها او آخرها ، وقد وصل الينا من هذه القصائد ــ فضلا عن الملعبة ــ قصيدة يقول في أولها :

---

12) الروض الهتون لابن غازي ص 34 المطبعة الملكية .

13) الاستقصا ج 3 ص 8 111 .

14)وصف افريقيا ج 1 ص 203 . وانظر تحسر ابن الخطيب عليه ورثاءه له في نفاضة الجراب 48 — 53 .

أيا سائلا عن كل ما في العام ** نفيدك بما في النقد والتالي
تدور السنون كدورة الأيام ** عبار في هذا اللفظ لمثالي
الا فاسمعوا ما قالت العلما ** دخول السنة بالحد فيها اخبار
زمان الشتا صاحى قليل الما ** وفصل الربيع شاتي كثير الأمطار
ووقت الصيف يخشى من الغما ** وزمان الخريف ياتي عجاج وغبار

وهي منظومة شعبية لاحقة بالتنجيم الذي كثرت فيه « الملاعب » والقصائد في هذا العصر المريني ، ويلاحظ انها في بنائها وطريقتها مماثلة « للملعبة » ، ويبدو من هذه القصيدة ومن « الملعبة » ايضا ان الكفيف كان عارفا بهذا الفن الذي كانت سوقه نافقة يومئذ عند الخاصة والعامة (15) .

هذا ما يمكن قوله حول شخصية الشاعر كتمهيد لقصيدته التي سندرسها من حيث المضمون ثم من حيث الشكل .

ان محور القصيدة هو ابو الحسن المريني احد ملوك المغرب الكبار الذين سعوا في توحيد المغرب الكبير ، من اجل جمع الكلمة ووحدة الصف ، الدفاع عن الأندلس والغرب الاسلامي كله ، محتذيا في ذلك حذو يوسف بن تاشفين وعبد المومن بن علي ويعقوب المنصور وغيرهم .

اما حوادث القصيدة فانها تدور حول « حركة » هذا السلطان الى افريقية الحفصية ، بعد ان مهد ما كان يعرف بالمغرب الأوسط ، وقد حقق بهذه « الحركة » وحدة لم يكتب لها البقاء ، إذ سرعان ما انتكست بسبب عوامل مضادة للوحدة ، وفيما يلي عرض أمين لمضمون القصيدة :

---

15) انظر مقدمة ابن خلدون ووصف افريقيا للوزان 1 : 264 — 267 وقد ذكر ابن مرزوق ان السلطان ابا الحسن لم يكن يستمع الى كلام المنجمين وكان ينكر عليهم ثم قال انه كان على بصيرة في انكاره لما عم من الافتتان بهذا في كثير من الاقاليم مع التفاوت بين الناس في ذلك ، وحكى نهاية ابي سالم بسبب المنجمين . المسند : 444 .

تبدأ القصيدة بمقدمة تشتمل على تسبيح الله عز وجل الذي بيده أزمّة الملوك ، يلينون لمن أطاعه ويهينون بإرادته من عصاه ، ويذكر الشاعر ان قلوب الرعية واحوالهم تكون حسب قلب الراعي ونيته ، فهو كالجوزاء التي تنفعل بعدله فيفوح منها العبير ويعم بها النور والحبور ، كما تتأثر بجوره فتعلوها قترة تسودّ منها النفوس وترين على القلوب ، ثم يسوق القصة المنسوبة الى كسرى انو شروان ، وقول الرسول فيه : « ولدت في زمن الملك العادل » وملخص القصة انه مرّ ببستان كان يزكو عطاؤه ، فلما نوى اخذه من اصحابه ، لم يعد يجود ببعض ما كان يعطي ، وحين رجع الملك عن نيته ، عادت الى البستان بركته ، والقصة كانت مشهورة بالمغرب كما ذكر صاحب سراج الملوك ، وقد كانت – كما يقول الشاعر – سبباً في عدله ، وصنعه في الايوان سلسلة عظيمة ذات اجراس ، يحركها المظلوم ليعلم بها الملك فيزيل ظلامته ، وتنتهي هذه المقدمة بالصلاة على النبي والدعاء للخلفاء الراشدين .

ثم يخرج الشاعر الى الموضوع بتوجيه نداء حار وسؤال ملحاح الى الحجاج العائدين عبر الصحراء ، متوسلا اليهم بالنبي ، في أن يخبروه بمصير عسكر فاس الغراء ، وجيش المغرب التائه ، في افريقيا السوداء ، واميره الذي مهد سبيل الحجاج وزودهم بالعطاء ويتعجب كيف عميت انباء هذا الجيش الذي انحدر على افريقية ، كالتيار الجارف او السيل العارم ، وكأنه وديان « بهت » و « ردات » و« وردوم » عند ما تفيض وتغمر ركاض بلاد الغرب ، ثم يتساءل مستغربا : الا يوجد حمام زاجل ، او رقاص ركاض يحمل كتاباً من السلطان مختوماً بعلامة عبد المهيمن ، التي تنتصب كالمنارة اسفل الكتاب ثم يقول ما نثره :

وحتى لو كان بين تونس وفاس سدّ كسد ذي القرنين مبني من الشرق الى الغرب ، بطبقة من حديد واخرى من النحاس ، كان لا بدّ للطير ان يجيئنا بنبأ ، وللرقاص ان ياتينا بخبر ، ويتحسر قائلا : آه لأولئك المسلوبين

العارين ، والتائهين الذين اصبحوا بلا مكان ولا إمكان ، لا ندري هل يقتاتون ، ولا كيف لجأوا الى القيروان ، ما اصعبها من امور ، وما اشرها من احداث ، تنهد لها الجبال ، وتجف الغدران ، وتستحيل مياه الانهار دماء .

ثم يتوجه الى أبي الحسن مخاطبا :

أي أبا الحسن ! لقد اخطأنا في قضية سيرنا الى تونس ، ولقد كنا في غنى عن الزاب والجريد ، مالنا ولأعراب افريقية .

الم يبلغك ان عمر بن الخطاب فاتح الشام والعراق وفارس ، رغب عن فتحها ؟ وكان ينعتها بالمفرقة ، ولم تفتح الا زمن عثمان ، ولما بلغت غنائمها الديوان كانت شؤما على المسلمين ، فمات عثمان وافترقت الأمة وحصل ما السكوت عنه من الايمان .

ولقد ذكر اصحاب الأجفار والتراحيل ، ان بني مرين اذا اشرفت راياتهم على جدران تونس سقط شأنهم ، وما اصدق فراسة سيد الوزراء عيسى بن الحسن الذي نصح السلطان فأعرض عن نصيحته ، قال لي بعد النكبة : انه كان على علم بما سيحدث ، ولكن اذا نزلت الأقدار ، عميت الابصار .

ويسرد الشاعر – بعد هذا – الظروف التي حملت السلطان على الحركة بجيوشه الى افريقية وهي الظروف الناشئة عن موت السلطان الحفصي ابي بكر ونشوب الفتنة في تونس ومقتل ولي العهد الحفصي وإخوته أصهار السلطان ابي الحسن المريني على يد أخيهم المتسلط ابي حفص الى غير ذلك من الاحداث التي فصلها شاهدها ابن خلدون .

ولا تختلف الأحداث الواردة في القصيدة ، عما عند ابن خلدون ، الا من حيث السرد القصصي ، والحاح الشاعر على دور الحاجب الحفصي ابن تافراجين ، في اغراء السلطان ابي الحسن بالحركة الى افريقية ، وقد ذكر

ابن خلدون ان ابن تافراجين ، رغّبه في سلطانها ، واستحثه للقدوم عليها ، وحرّك له الحوار ، فتنبهت لذلك عزائمه (16) ، اما الشاعر فينعت هذا الحاجب الماكر بالغرّار (أو الغدّار) ويبسط اسلوبه في تحريض السلطان على الحركة الى افريقية ، واطماعه فيها كما يلي :

قالو : يازمرد الأمرا … انظر هذا المعق الأبوان
كف جنى الراس وقطع البشرا … وخلط دم النسا مع الصبيان
هتك دولة بنو ابي حفص … اجبرها ياغضنفر الدولا
واحكم بالشرع الذي يعصي … واستعمل لأرض تونس الرحلا
أنت اليوم عندنا وكيل ووصي … ومقام الأب والسها الأعلا
وترى هذي بجاية الغرا … هبناها لك مصدقه بامان
يدك فيها من جنت الخضرا … ومرسى وجبل ونهر وبستان
واعظم من ذا واجل تقديسا … تفتح طريق الحج للحجاج
وتنقيها من العدو النبيسا … حتى تمشي فيها المرا بالتاج
تشكر بها إلى قيام عيسى … وفي جبل عرفه اذا التقت لفواج

وهكذا استمع أبو الحسن إلى كلام الزجل وأزمع الرحلة ، فدقت الطبول ، وجلبت الرجال والخيول ، من سوس في أقصى الجنوب إلى شرشال في اقصى الشرق ، واستمر الاستعداد للحركة عاما كاملا ـ فيما يقول الشاعر ـ حتى تجمع جيش يمثل جميع قبائل المغرب الأقصى والمغرب الأوسط ، وقد ذكرها الشاعر باسمائها ، وكان الانطلاق من تلمسان في بداية موسم الحصاد ، وبدت ـ حسب الشاعر ـ اول أمارة لمتاعب هذه الحركة ، عند وصول الجيش الى شلف ، وتمثلت في الغلاء ، وفقدان الماء ، كما ظهر أول تململ للناس تجلى في قولهم على لسان الشاعر :

(16) العبر ج 6 ص 811 ط ، بيروت ، وفي الأمثال : حرك لها حوارها تحن . الميداني 1 : 191 .

أمارة في شلف لمن جمع … من فقد الما والغلا في الزاد
واش كان دانا لراس الاقرع … نغسلو بالما ولا يساق للواد

ومهما يكن الأمر فقد أغذ السلطان السير الى بجاية ، يجر الدنيا بما حملت ، حسب عبارة ابن خلدون (17) ، ففتحها ، وعمل ما يرضاه الله ورسوله ويشكره الناس ، إذ قضى على الخمر الذي كان ساريا ، ومنع وسق المحبوب لدار الحرب وكان العمل به جاريا ، وأحسن الى الفقراء ، ثم تقدم الى قسنطينة ، فحاصرها شهرا ، وفتحها صلحا ، وبلغ الخبر الى عمر الحفصي ، فخرج منها هاربا بعد ان حمل معه جميع ما كان في الخزائن الحفصية ، والتف حوله البدو من اولاد مهلهل ، وكل همهم ان يحصلوا على امواله وصار كما يقول الشاعر :

في عرب يصبح وفي عرب يمسي … منهم يرحل وبينهم ينزل
وفي كل شهر من العرب يكسي … سبعين ويجود من الذهب يحمل
والعربي كالندى على الغرس … يوما تقطع عنو العطا يخذل
أو كالعوسج ترى شجره خضرا … غدا يلقاك بشوك كالظربان
مايعطيك لا زهر ولا تمرا … لو تسقي شجرة بما النيسان

وقد ارسل السلطان في طلب هذا الحفصي الهارب قائده العسري في اثني عشر الف فارس ـ كما في القصيدة ـ فادركه وجرى قتال هلك فيه من هلك ، وكبا بالأمير الحفصي فرسه ، وحمله بعض الأعراب ـ حسب القصيدة ـ الى قائد السلطان ، فقيده كي يحمله اليه ولكنه خشي ان يراجع الأعراب انفسهم في شانه ، فقطع راسه ، ووجه به الى أبي الحسن ، وسقط في يد الاعراب .

(17) المصدر نفسه ج 6 ص 812 .

لم يتحدث الشاعرُ عن دخول أبي الحسن التاريخي الى تونس في ذلك اليوم الذي هدرت فيه الطبول ، وخفقت الرايات ، وماجت الارض بالجيوش ، ورُفعت قصائد المديح الى السلطان في التهنئة بالفتح ، « وكان يوما لم يُر مثلُه فيما عقَلْناه » كما يقول ابن خلدون (18) ، ولم يتحدث ايضا عن اعمال السلطان في تونس ومنجزاتِه وتنقّلاتِه ومجالس علمائه التي نوّه بها ابن خلدون ، وكان هو نفسُه ثمرةً من ثمراتها (19) ، لم يتحدث الكفيف عن شيء من هذا ، فهل سقط شيء من النص الذي بين ايدينا ، أم أن الشاعر ركّز على محور قصيدته الذي هو نكبة السلطان .

مهما يكن الأمر فاننا نجده يأخذ في سرد أحداث الطامّة الكبرى وقضية حرب السلطان مع الأعراب قائلا :

نَرْجعْ لأخبار الطامّة الكُبْرى   وقضية حَرْبنا مع العُرْبان

واول ما يذكره اسبابُ النكبة ، وهي 1 – خيانة الموتورين من بني عبد الواد وبني توجين الذين انحازوا عند اللّقاء الى الأعراب . 2 – مؤامرات أمير بونة أبي الفضل الحفصي صهر ابي الحسن . 3 – نفرة بني مرين وجشم ، وهم خيرة الجيش ، فقد كانوا يحذرون غضب السلطان وعقابه ، وذلك كما يقول ابن خلدون « لجناياتهم بالتخاذل في المواقف ، والفرار عنه في الشّدائِد ، ولِما كان يَبْعِدُ بهم في الأسفار ، ويتجشّم بهم المهالك (20) » ، وهذا نفسه ما عبر عنه الشاعر بقوله :

والعلّة الثالثة دشم ومريـــنْ   وعظْم الدّولة القديمة البانْيا
قالوا ما خصّنا سوى ارض الصينْ   لو قالْ قومو لها قلْنا أيـّا

18) المصدر نفسه ج 7 ص 504 .

19) راجع ما كتبه عن قراءته على العلماء الذين صحبوا السلطان ابا الحسن في التعريف بابن خلدون .

20) العبر ج 7 ص 594 .

اولادْنا تيتّمو بنـاتْ وبنينْ   ونْسانا ترمْلُو ونحن احْيـا
ولوْراكْ خدت الاسدْ من الشّعْرا   ويراه في قبضتك عيانْ بيـانْ
ما عظم رْجلتك ولا شكْرا   ويراها من سقارة الصبيــان
ورواتْبنا على سبو اوْ رْدات   كرواتبنا بقايس المقطـــوعْ
ويريدْ عادْ يفتّتح بنا رمدات   عماد الاصفر وكنزها المجموعْ

ويضاف الى شكواهم من عدم الزيادة في رواتبهم وقلّة التنويـه بعملهم شكواهم من تغيّر المناخ الذي الفوه ، والمجال الذي تعودت عليه خيولهم ، بهبوب الزوابع الرملية ، ونضوب المياه الصافية :

انظـر هذا النفانـف الأربــعْ   كيفْ عمتْ جيشنا ولّى سافي
ماطلعْ فيها قليب خالص المنْبعْ   غير واحد من ميا استْقي الصافي
وكذاكْ جاب بذا الجيوش وطْلع   يلْـقى بهـا البودْبـا الطّافي
حيـاة قـطْ مارات قطْـرا   تلقاها في ترابها العطْشـانْ
خيل ربات في ازغار وما يسْرا   وسبو المستقى مع خــولانْ

اما السبب الاكبر ، والهم الاخطر ، فهم العربان ، مسامر الصحراء ، الذين طولبوا باداء الزكاة ، وهم اجهل من جِمالهم الصفراء كمـا يقـول الشاعر ، وهو يذهب الى ان خروجهم علـى السلطان كان بتدبيـر من ابن تافراجين الحاجب الحفصي ، فقد همّ ابو الحسن بتوجيهه سفيراً الى ملك قشتالة ، مصحوبا بهدية شكر جزاءً له على هديته ، وتسريحه ولده ابا تاشفين ، وتهنئة السلطان بفتح افريقية ، ولكن ابن تافراجين فهم ان السلطان اراد ان يتخلص منه وينفيه ، فلجأ الى الايقاع بين ابي الحسن والأعراب ، بالقبض على اشياخهم الذين دخلوا القصر لتهنئة السلطان ، برغم اعتراض ابي الحسن المعهود على اساليب الغدر ، وقد افلت من بينهم قتاته بن حمزة احد شيوخ الكعوب الذي ذهب يحرّض الأعراب في مضاربهم وحِللهم فوجد لديهم آذانا مصغية ، ان كانوا غيرَ راضين عن سياسة السلطان الجديد عليهم

كمنعهم من فرض الخفارة ، وسرعان ما تجمعوا ، واجلبوا بخيلهم ورجلهم ، وكانت الواقعة التي وصفها الشاعر في سرد قصصي ، وبنفس ملحمي ، هما لبّ هذه القصيدة ، وسرّ ما فيها من إغراب وابداع ، نوّه بهما ابن خلدون .

وقد اشاد الشاعر بشجاعة السلطان الجسور ، وولديه ابي علي الناصر وابي الفضل ، وبعض قواد جيشه الاوفياء ، مثل ابي معروف العسري ، وابن يحياتن زعيم بني عسكر الذي شبهه بالمقداد ، ولكنه اعترف ايضا باستماتة الأعراب وصلابتهم فكأنهم — كما يقول — خلقوا من حديد او اشتقوا من حجر ، وكان لتحميس ربات الهوادج من نسائهم الأثر الفعال ، في ميدان القتال ، وقد كاد ابو الحسن يهزمهم ، ويشتّت جموعهم ، لولا خيانة اولئك الذين كان في قلوبهم مرض من جيشه ، فجروا عليه الهزيمة ، ولم يحمه غير ولديه ، وفرقة الروم التي غطت انسحابه الى القيروان ، وحوصر السلطان في القيروان ، وضويق اهله في تونس ، ولم يأته مدد من المغرب (21) ، وانتثر سلك زناتة ، وانهار بناء الوحدة ، وتغلبت البداوة على الحضارة ، وتفشت الخيانة ، وظهر الوباء ، وعميت الانباء ، وكثر ارجاف الأولياء والاعداء ، وشاع الانتزاء ، واصبح الحال كما يقول الشاعر الرحوي :

الخوفُ والجوعُ والمنايا	يُحدثها الهرْجُ والوباءُ
والناسُ في مِريةٍ وحربٍ	وما عسى ينفعُ المِراءُ
فأحمديٌّ يرى عليّاً (2I)	حلَّ به الهلْكُ والتَّواءُ

(21) ذكر ابن خلدون ان الأمير ابا سالم جاء من المغرب على راس عسكر فوافاه خبر الهزيمة دوين القيروان ، فانفض معسكره ورجع الى تونس فكان معهم بالقصبة ، العبر 6 : 819 ، واشار ايضا الى « ابن صغير من ابناء السلطان عقد له على عسكر من اهل المغرب واوعز اليه باللحاق بتونس ، فحوصر مع من حوصر بقسنطينة ولكن هذا كله كان قبل حصار القيروان .

(21م) قصيدة الرحوي في مقدمة ابن خلدون ج 4 ص 1332 والاحمدي يقصد به المنسوب الى حزب احمد ابن ابي دبوس الذي اقامه الأعراب اميرا عليهم .

والمرّ قالّ سوف تأتي	به إليكم صَبَا رُخاءُ

واذا عميت انباء السلطان على من في تونس ، فكيف بمن في تلمسان وفاس ، وهذا ما ترك الناسّ حيارى ، وكان سببا في النكبات .

وحسب الشاعر فان الذي روّج إشاعة موت السلطان ، هو الماكر ابن تافراجين ، الذي تحيل في الخروج من حصار القيروان ، والتحق بصفوف الأعراب ، والشاعرُ يروي خبرا قال انه مسموع ، ومُفاده ان اصحاب السلطان عريف السويدي وعلال ابن امصمود وابن يربوع ، خرجوا من القيروان المحاصرة للتفاوض في الصلح مع الأعراب ، فما كان من هؤلاء الا ان اعتقلوهم ، ولكن ابن تافراجين الذي اصبح بجانب الأعراب ، اشار عليهم بالاحتفاظ بابن امصمود وتسريح الآخرين ، وذهب ابن تافراجين بابن امصمود الى تونس وأراهُ من وراء السّور للمحاصَرين قائلا : ماهو ثقة ابي الحسن يشهد لكم بوفاته ، ولكن هذا كذبه ، واوصى المحاصَرين بالصمود حتى يقدَم السلطان .

لجا السلطان الى القيروان ، وبقيت ذخائره واموال نهبا للأعراب ، وهامت فلول جيشه في البراري ، واصبحوا كما يقول الشاعر : « فرسٌ مهزولٌ وصاحبٌ جيعانٌ » ، وكانوا ينزلون بالبدو ، فيُجرّدونهم حتى تساقطوا الى تلمسان عُراةً زرافات ووحدانا ، ولقد سمّى الشاعر من خان السلطان ، ومن ظلّ وفيّا له بعد الحصار ، وعدّ في الأولين محمد ابن النوار واليه على بجاية ، وسرحان قاضيه على مازونة ، وذكر غدر الأصهار الحفصيين في تونس وقسنطينة ، اما الاوفياء فمنهم محمد بن العبّاس وابن مزني صاحب الزّاب ، ومسعود بن ابراهيم اليرنياني الذي ضرب — كما يصفُ الشاعر — مثلا اعلى في الشجاعة ، فقد اعترضه الأعراب ، وهو متوجّه بمال الزكاة الى السطان في تونس ، فقسم المال الى مئة بدرة ، ووزّعها على كبار اصحابه ،

حتى لا يقع المال في يد الأعراب ، وعلى أمل ان تجمع البِدَر فيما بعد ، ثم كرّ كرة والتفت بعدها يتفقد اصحابه فلم يجد لهم أثراً ، فاندفع يجندل الفرســـان :

فقتل ميا وماتْ على إثـــرا   لا حرم الله عرايس الرّضوانْ

ومن هؤلاء الأوفياء ابن أخلفي زعيم بني عسكر ، وابن يحياتن فتى بني ونجاسن ، وابن أمديون زوج أخت السلطان الذي صمد اثناء حصار البدو لأهل ابي الحسن في قصبة تونس ، وعمل الأعمال المستحسنة .

لقد ظل ابو الحسن محصورا في القيروان سبعا وسبعين ليلة – كما يقول الشاعر – ، وكان يقضّي نهاره في العبادة ، وسماع العلماء الذيـن كانوا يدرسون مؤلفات سحنون والقابسي وابن ابي زيد القيرواني وغيرهم ، وحين يمسّه القنوط ، يصعد الى صومعة الجامع الكبير ، وينظر يمينا وشمالا ، فلا يرى الا سيوفا تلمع كالنجوم ، وخياما تحيط بالبلد إحاطة السّوار بالمعصم ، فاذا جاء الليل بدت مَواقِدُ الأعراب ، وكأنها بحر من النيران ، اما في الصبح فتضجّ مضاربهم بالرغاء لا بنداء الأذان ، وذلك لانهم لا يؤدون الصلاة ، وعند ذلك يناجي ابو الحسن ربه ، ويتوسل اليه ، معدّداً اعماله الحسنة ، ونواياه الطيبة ، ويُستجاب دعاؤه ، وتنفرج كربته ، « ويفترق امر الكعوب » فيخرج الى مدينة سوسة ، ومنها يركب اسطوله الى تونس ، فيدخلها ويصلح اسوارها ، ويقيم تحصينها الذي ثبت لها من بعد ، كما يقول ابن خلدون (22) .

ووصف الشاعر بعد هذا حملات الأعراب على تونس وكيف صدّوا عنها المرّة تلو المرة ، كما اشار الى كارثة الأسطول أو « رزية المسمار » كما سماها ، وذلك بعد خروج ابي الحسن من تونس .

(22) العبر 7 : 574 .

وقد ذكر هذه الحادثة باقتضاب شديد ، وعبّر عنها في شيء من الرمز والايماء حين قال مخاطبا ابا الحسن :

امارا قلبك امريني منْ نارْ   وما جرعْ من سَمومْ ومن علقَمْ
اذا خابوا يوم رزية المسْمارْ   رشقو سهم او هجَمْ عليه ارقَمْ
قالو لي : ذل العزيز وماتو الاحرار   والتهمهم بحر واي بحر عام

ثم يشير – فيما يبدو – الى حالة القلق والتوقع المزعج قبل موت ابي الحسن في جبل هنتاته :

قرنا يحمى على خشبه خضرا   مالو متنفس للنار ولا دخان

هذا هو المحتوى التاريخي في القصيدة ، ومعظم ما ذكرته إنما هو نثر لشعرها ، وحلّ لنظمها ، وهو كما راينا محتوى تاريخي واقعي يتفق في مجمله مع اهم المصادر المعاصرة للأحداث ، كالعبر لابن خلدون ، والمسند لابن مرزوق ، وبغية الرواد ليحيى ابن خلدون ، وتنفرد الملعبـــة بروايات تاريخية لا توجد في غيرها .

ان مجال القول في تحليل هذا المضمون يمكن ان يكون ذا سعة ، فهو مضمون غني يعكس وعيا مغربيا شعبيّا عميقا ، ونضجا سياسيا عاليا ، وتتبعا دقيقا للأحداث ، والملعبة كما راينا من خلاصتها تقدم إشارات عديدة ، حول دواعي حركة ابي الحسن المريني الى افريقية ، وشرعيتها الدينية والمدنية والتاريخية والعائلية ، واختلاف الآراء في القيام بها ، واسباب فشلها المختلفة ، ومظاهر نتائجها الايجابية والسلبية .

اما دواعي الحركة فمنها ما يستند الى الشرعية الدينية وعد منها الشاعر :

– تمهيد طريق الحج ، كي يستطيع الحاج المغربي ان يذهب لأداء فريضة الحج ، ويعود سالماً ، دون ان يعترض سبيله احد ، او يؤدي خفارةً لمجيـــر .

– تغيير المنكر ، والقضاء على مظاهر الفساد والانحلال التي كانت متفشية في بعض حواضر افريقية ، كشرب الخمر وغيره .

– جمع كلمة المسلمين ، وتوحيد صفوفهم والقضاء على التنابذ والتناحر ، كي يتفرغ الناس الى الجهاد في الأندلس ، والدفاع عن الاسلام فيها ، ولا سيما بعد ما وقع في طريف والجزيرة الخضراء .

ومنها ما يعتمد على الشرعية المدنية مثل :

– رفع الظلم على المظلومين والمسجونين بغير حق .

– رفع المكوس والضرائب الجائرة .

– منع الوسق والتصدير الى ديار الكفر .

– نشر الأمن في الطرق حتى تسير فيها المرأة بحليها وذهبها دون أن يعترضها احد .

– نشر العلم وتعميمه في مراكز افريقية الثقافية ، بواسطة العدد الكبير من كبار العلماء الذين ساروا في « الحركة » ، وقد تحدث الشاعر عن مجالسهم العلمية في القيروان ، كما تحدث ابن خلدون عن نشاطهم العلمي في تونس ، وكان هو نفسه ثمرة من ثمار غرسهم كما ذكرنا آنفا .

– محاولة تطويع البدو في افريقية ، بسلوك سياسة تجعل منهم عنصرا مندمجا في الجماعة ، لا عنصراً يسلك سبيل الفرضى والتخريب (23).

23) اتفقت جميع المصادر التاريخية على الطابع الفوضوي لهؤلاء البدو في افريقية والمغرب ، ومزيتهم الوحيدة هي تعريب المناطق التي حلوا بها ويقول ابن خلدون في سياسة ابي الحسن مع البدو : « وحين راى اعتزازهم على الدولة وكثرة ما اقطعتهم من الضواحي ثم من الأمصار نكره وادالهم بأعطيات فرضها لهم في الديوان ، واستكثر جبايتهم فنقصهم الكثير منها وشكت اليه الرعية من البدو ما ينالونهم به من الظلامات والجور بفرض الاتاوة التي يسمونها الخفارة فقبض ايديهم عنها ، واوعز الى الرعايا بمنعهم منها ، وكان في هذه السياسة الخير لو نجحت ولكن شاء الله ان تفشل ويزداد البدو بعد ذلك عتوا وعلوا .

ولعل ابا الحسن فكر في شغلهم بالجهاد في الأندلس كما فعل عبد المومن ولكن الوقت لم يسمح له بذلك .

وترتكز الشرعية التاريخية على اهلية بني مرين لقيادة زناتة ، كما تستند الى ميراث المرابطين والموحدين ، ومن المعروف ان الحفصيين لم يكونوا سوى فرع من الموحدين انفصلوا عن الدولة المركزية في المغرب ، وان بني عبد الواد من قبيل زناتة التي كانت زعامتها الى المرينيين .

اما الشرعية العائلية فهي تتوسّل بوسائل المصاهرة والوصاية على اولاد العاهل الراحل واصلاح ذات البين بينهم .

وقد تاكدت هذه الدواعي بوفادة رجال الدولة الحفصية ، وشيوخ القبائل العربية ، وكبار العلماء على ابي الحسن ، واستدعائهم له ، وإصفاقهم بعد ذلك على بيعته ، وتمسكهم بهذه البيعة خلال محاصرة القيروان (24) .

وهذه الدواعي هي نفس الدواعي التي يذكرها ابن الحاج النميري حين يتحدث عن أهداف حركة أبي عنان الى افريقية (تونس) التي تلت حركة والده قائلا :

24) ذكر النباهي في المرقبة العليا (161 — 162) انه « لما تغلب الشيخ ابو محمد عبد الله بن تافراجين على مدينة تونس دون قصبتها عند خروج السلطان ابي الحسن امير المسلمين عنها ، بقصد مدافعة وفود العرب العاتية على ارضها فهزمت جيوشه واستقر هو ومن بقي معه من جنده محصورا بداخل القيروان ، فجاء في اثناء ذلك يوم الجمعة ، فقال المتغلب على الامر للخطيب بالمسجد الجامع بتونس : اخطب بدعوة الامير ابي العباس بن ابي دبوس من الموحدين ، وكان في المسجد القاضي ابن عبد السلام ، فقال : والسلطان المريني ، فراجعه الشيخ (ابن تافراجين) بانه في حكم الحصار داخل القيروان بحيث لا يستطيع الدفاع عن نفسه ، قال : فتلزم اذا مناصرته والعمل على الوفاء بما شرط له عند مبايعته ، فرد عليه (ابن تافراجين) بان الاخبار تواترت بعد ذلك بتلفه وانتزاع ملكه ، فقام الخطيب وقال : على تقدير صحة هذا النقل : الفرع زال بزوال الأصل ، انظروا ما يصلح بكم لخطبتكم ، وارتفعت الاصوات والمراجعات فقطع القاضي الكلام بمبادرته الى الخروج وهو يقول : لم يثبت لدينا ما يوجب العدول عن طاعة السلطان ابي الحسن ، واستصحاب الحال حجة لنا او علينا وقد نقل النباهي عن غير واحد من الثقات ومنهم ابن خلدون الذي شهد هذا الموقف .

« واعلم ان المراد ان تجتمع كلمة الاسلام ، وتلتئم أحزابها احسن الالتئام ، وتخلّى الدواعي لجهاد عبدة الأصنام ، ويستطاع السبيل لحج بيت الله الحرام ، وزيارة سيدنا ومولانا محمد عليه الصلاة وازكى السلام ، وينحسم داء الفتنة ، وينقضي أمد المحنة ، ويمحو العدل الفساد ، ويرتفع الظلم الذي اغتر به اللئيم فساد » (25) .

ورغم الحيثيات المذكورة فقد وجد من أشار على السلطان بعدم القيام بهذه الحركة ، وقد سمّى الشاعر زعيم هذا الاتجاه عيسى بن الحسن مستشار الدولة ، وكان الشاعر نفسه من اصحاب هذا الاتجاه ، ولذلك انتقد « الحركة » مرارا في ملعبته ، ولكنه يمزج الانتقاد بالتحسر والتفجع ، كما ذكر ما كان يتوقعه المنجمون والعرافون واصحاب الاجفار لهذه « الحركة » .

اما اسباب النكسة فقد شرحها الشاعر شرح العارف بأسرارها ، الملم باطوارها ، كما يبدو من العرض السابق لمحتوى الملعبة ، ولعلّ من اهم اسبابها – علاوة على خيانة بني عبد الواد وتخاذل الجيش – الخطأ « التكتيكي » الذي ارتكبه ابو الحسن بمتابعة الأعراب في الصحراء ، وهذا ما تجنّبه ابو عنان في حملته على افريقية ، فقد كان يرى – عند ما يفرّ الأعراب امام جيشه الى الصحراء – « ان اتباعهم في البيد التي لا ماء فيها ولا ظل ، والصحاري المتوغلة التي لا مُهيب بها ولا مُهل ، ضائر بالجيوش التي كثر كُراعها ، وملأ الارض اتباعُها ، وكلت عن الاستقلال بهم ابصار الآفاق واسماعها . » (25م) .

وثمّة ادبيات تنسب بعض ما حصل لهذا السلطان المجاهد الى العين ، فقد ذكر الأبّي في شرح صحيح مسلم « ان رجلاً كان بتلك الديار

25) فيض العباب : 58 اعداد د. محمد ابن شقرون

25م) المصدر نفسه : 270 .

معروفا باصابة العين ، فسأل منه بعض الموتورين للسلطان ابي الحسن ان يصيب اساطيله بالعين ، وكانت كثيرة نحو الستمائة فنظر اليها الرجل العائن ، فكان غرقها بقدرة الله الذي يفعل ما يشاء » (الأبي ونفح الطيب : 6 : 216 والاستقصا 3 : 117) ونسب ابن الخطيب بعض ذلك الى وزير بني الأحمر ابن كماشة المشئوم في نظره فقال من قصيدة في هجائه :

ان مسرى في رسالة قرنت بالنـ ... ـحس منها الآمالُ والاسفارُ

جاء فيها الأمير يوم طريف ... فاستباحتْ حريمهُ الكفّارُ

ام في القيروان عادَ فكان الشـ ... ـؤمُ مستصحباً له والفرارُ

ذكرنا هذه الأبيات على سبيل الاستئناس ، والا فالأسباب التاريخية الموضوعية هي التي اشرنا اليها قبل ، ويضاف اليها تخاذل من تركهم ابو الحسن في المغرب عن نصرته ونجدته لأسباب معروفة .

لقد اشبهتْ « وقعة القيروان » على أبي الحسن – في مجرى احداثها – « وقعة عمرة » على الموحدين سنة 583 هـ ، مع فارق واحد هو ان يعقوب المنصور لم يقُد معركة عمرة بنفسه ، بل ظلّ في تونس ، فكانت له الكرة على البدو ، وعلى من يحركهم ، ولو ان ابا الحسن سلك مسلك المنصور لتغيّر مجرى الأحداث ، ولكنه لشجاعته ، وروحه الجهادية ، كان يأبى الا ان يباشر القتال بنفسه ، فحصل له ما حصل في كائنة طريف ، وكائنة القيروان ، وعلى كل حال فقد تكون الظروف مختلفة ، ثم ان الاقدار نافذة .

ومن مظاهر التشابه بين الوقعتين انه « لما جرى بفحص عمرة ما جرى من قتل الموحدين ، وصرخ الشيطان بظهور المارقين خبثت سرائر الحاسدين ، وبدا على السنتهم ما أضروا عليه من النفاق على تراخي السنين » (البيان المغرب : 198) وقد نكب المنصور عمه السيد ابا إسحاق الذي « كان يطعن في آراء المنصور في تلك الحركة ويضعّفها بحجج ضعيفة سخيفة » ونكب بسبب ذلك ايضا ابا حفص الرشيد وابا الربيع سليمان . اما مصائب

ابي الحسن المريني بعد هزيمته في القيروان فقد جاءته من اقرب الناس اليه ، وكانت صرخة الشيطان عليه اقوى من تلك كما يقول الكفيف :

وكان إبليس صرّخ بذا الكسْرا ناقوسُ في البحر وكانُ رنّانْ
وعلتْ منها المغاربه حقْــرا لا غربي تفرْ عن اسنْـــــانْ

ولا يخلو الأمر كذلك من عوامل خارجية ، فقد بدا من إيواء المماليك في مصر لابن تافراجين انهم لم يكونوا في قرارة انفسهم ، راضين عن امتداد سلطان ابي الحسن الى حدود بلادهم ، وذلك برغم الهدايا الفخمة التي وجّهها اليهم ، وكأنهم نفسوا عليه توحيد المغرب تحت حكمه ، في الوقت الذي كانوا يجمعون فيه بين مصر والشام والحجاز .

كما ان احمد بن ابي دبوس ، صنيعة البدو ، هو ولد عثمان ابن ابي دبوس الذي كان كونت برشلونة سرّحه الى مناطق البدو بضواحي طرابلس ، وامده باسطول لاثارة الفتنة في هذه المنطقة ، ولا يستبعد ان يكون ولده المذكور قد ظل على صلة مّا بصاحب برشلونة وارغون حيث كان يوجد ابناء عمه « السُوَيْد » المتنصّر ابي زيد (26) .

ومهما يكن الامر فقد كان لحركة ابي الحسن نتائج ايجابية تمثلت في إعادة وحدة المغرب الكبير ، ولو لفترة قصيرة ، وظهر اثرها مع ذلك في بعض المظاهر العلمية والعمرانية ، ولكن نتائجها السلبية كانت كثيرة وكبيرة ، واخطرها زعزعة بنيان الدولة الذي ظهرت آثاره في الفترات اللاحقة .

---

(26) العبر 7 : 572 وهذا الاسلوب كان من المبادىء الثابتة في سياسة ملوك الممالك المسيحية في اسبانيا يقول المقري : « وكان طاغية النصارى الملعون لكثرة ما مارس من امور ملوك الاندلس وسلاطين فاس كثيرا ما يدس لاقارب الملوك القيام على صاحب الامر ، ويزين لهم الثورة ويمدهم بالامداد بالمال والعدة وقصده بـذلك كله توهين المسلمين ، وافساد تدبيرهم ، ونسخ الدول بعضها ببعض لماله في ذلك من المصلحة حتى بلغ ابعده الله تعالى من امله الغاية » ، نفح الطيب 4 : 420

ان ملعبة « الكفيف » التي ننشرها اليوم و « فيض العباب » لابـن الحاج التي نُشرتْ اخيراً ، تقدّمان مادة تفيد في دراسة طبيعة التجـارب الوحدوية المرينية وظروفها العامة ، ومن شان هذا كله ان يضع هذه التجارب في اطارها التاريخي الصحيح .

وقد تساءل الاستاذ محمد القبلي في بحث له حول الموضوع (26م) عن الاطار الذي انجزت فيه هذه التجارب وذكر ان « الراي السائد انها أنجزت عن طريق السيف والغزو والترهيب ، وبالتالي فهي في عمقها مجرد حركات توسعية ان لم تكن امبريالية » (27) ، ثم عقب على هذا الراي بقوله : « هذا الراي السائد لا شعوريـا ان صـح التعبيـر يظل سطحيـا في نظرنا ، ذلك لان القول بالتوسع والاحتلال (28) او الامبريالية ، معنـاه التلاعب بالاطار الجغرافي ، والظرفية التاريخية ، لهذه التجارب ، فالتوسع معناه اختراق الحدود ، والامبريالية تفترض الغزو من الخارج ، فلنحدّد اذن مفهوم الحدود ومفهوم الاطار الجغرافي لدى المعنيين بالأمر اي لدى الذين شهدوا ميلاد هذه التجارب وتطورها (29) . »

وانتهى الباحث المذكور بعد الدّراسة الى « ان الحركات الوحدوية التي ظهرت بالمغرب الكبير اعتبرت نفسها دائماً كما اعتبرها الأهالي مجرد حركات داخلية او اهلية اصيلة ، ولم تكن في ذهن معاصريها بأجنبية ولا دخيلة

(26م) انظر : « ملاحظات حول التجارب الوحدوية الوسيطية ببـلاد المغرب الكبير » مجلة كلية الاداب بالرباط بالرباط ع : 9 من ص 7 الى ص 22 .

(27) اقرا الفصل الذي عنونه : Echec à l'Idée Impériale من « تاريخ المغرب » للاستاذ عبد الله العروي من ص 186 الى ص 206 .

(28) اقحم محقق كتاب تاريخ الدولتين للزركشي عنوان « الاحتلال المريني » ، واقحام هذا العنوان الدخيل على الكتاب يجافي الامانة العلمية التي تقتضي المحافظة على وضع الكتاب كما تركه مؤلفه .

(29) المقال المذكور اعلاه ، مجلة كلية الآداب بالرباط ع:9 ، ص 9

والكسرْ الرابعة عليه جرَاتْ
تر بالناصر اشهَر الرّايـاتْ
لا ولّى لهُمْ ظهر ولا فــرّا
وافْعلْ فعل الاسَد اذا هـرّا
قاسى الناصر وخاه حروبْ داحس
تنظـر للقـوس عطلـو الفارس
ورشاش الدّم في الوغى الداحس
وعجوز الحي تفسَخْ الظَفرا
وتقول لا انظر من البجات نَظرا
مدّوا القطعان وشرعوا الرايـات
اذا هزّوا اللمط في الوغى ودوات
والناصر ردها اذا هي جـاتْ

وفذيك الرّايعه العرب محنوه
وحلَـف بالـلازم وشييت بنـوه
لو تلـقّح في الزّمان اعواد الزّان
عند اللّبْوه وكشط الاسنـان
لولا الياقوتْ صبرو كثير للنّارْ
بعد ان كان مثل يودّيا الطيارْ
ينفْضَحْ في هـوادج الحور الابكار
ومرتْ بنْـا تسيّـل انـزران
وحيا العزّام وشد كل جبان
وزّناته عاكفين على التعريف
غرّد فيها الوتر وغنّى السيفْ
اذا هزم ذا الريف يرجع عله ذا الريف

ولقد جرت عادة اصحاب السير الشعبية ان يجروا الشعر على السنة ابطالهم في المفاخرة بشجاعتهم ، واستنفار الناس لنصرتهم ، وفي النص الذي سقناه ، أمثلة من ذلك .

ومن سمات السيرة الشعبية التي نجدها في ملعبة الكفيف سمة المناجاة . يقول الدكتور عبد الحميد يونس في تحليله لأسلوب السيرة الظاهرية : « وقد وجد اصحاب السيرة على الأيام ان الشعر هو اصلح وسائل التعبير عن المناجاة فارسلوه على السنة ابطالهم ، يظهرون به مكنونات انفسهم ونجوى ضمائرهم ، يتضرعون الى الله ان يجعل لهم من بعد ضيقهم فرجا » (32) ، وهذا ما نجده كذلك في الملعبة ، ومن امثلته مناجاة السلطان ابى الحسن اثناء حصار القيروان التي يقول فيها :

---

32) الظاهر بيبرس في القصص الشعبي : 105 (المكتبة الثقافية 3)

يقول ياخالق الجميع من ما
تعلم ما كان مجيئي لذا الأمنا
إلا شهرت منكرا جمّا
عدوان ظلما وبحر من خمرا
وطريق الضيع عطلوه والسحرا
ياربي كان عدتْ عبيد الواد
كان ياتي الجميع بالرحيلْ والزاد
مع ما كانْ جرى من شراب وفسادْ
ولقد صبنا في قبة الحمْرا
ما عطّل حركتنا ولا كسرا
عاد بوتاشفين بما جرت به الاقلامْ
بعدْ عداوة مية وخمسين عامْ
والقدوين مع بني مرين في زمامْ
جازوا من حرزمْ من الشقرا
اما تونس عصابة التوحيد
ثاركلم في الدّم قديم وجديد
ولنا عامْ نقطع لهم البيـد
لما ارسينا بتونس الغـرّا
والنسوان يشربو بـلا سترا
جهد نقدّمْ لهم على الجمْلا
والتزموا شيوخ منهم فضْلا
نهيبا تعطي الظهر وتتولاْ
عادتْ مولاها ما كان يرى قنطْرا
وان وليت عنا ولو نزْرا

أنت أملي والرقيبْ على قلْبي
لا من ظلْمي لها ولا غصْبي
فيها بشريعة النبي العربي
منْ حدّ افريقيّة لمزْغنّانْ
تحلّب فيها مصارن الرّكبانْ
وفنيت سلطانهْم على حجّا
ويردّو قبل يعقد الحجا
والمسجونْ يُسجن اربعين حجا
تاعوروا من خمر لها جريان
إلاّ سيّفى وعونك ارحْمانْ
وتعفّفنا عن القبيل قاطب
ماسبينا فيها لامْرا ولا كاعبْ
والاحسان والبلدْ مع الراتبْ
اربّي بالجفا وبالهجْران
أنتّ اعلمْ بي وبهمْ اقيّومْ
وفنيت جيشي في نصرتم اليوم
كي نرْفع ظلمهم على المظلوم
وجدنا المنكرْ فيها على الحيطان
والمعلوم يشْترى من الدكّانْ
ونخلْ البحر بينهم مخْلوطْ
قالوا يدك في ارضنا مبسوطْ
عاد المزْمارْ يكون فيها والرّوطْ
مع ما كان معتكفْ على البيجانْ
خاصمناك عند سيد الثقلان

امـّا عـرْبان افريقيـة تعلـم ... اربْ ما جرتْ به الأقـــلامْ
عاينت المعصية صحيح عنْدمْ ... واموال الحاج بالصحيح تغنامْ
اقْوام تعطى السلم على المسلْم ... حتى يـاتي بحجـة الاســلام
إكانْ جنقتْ بني مرين مرّا ... اربْ ما علمـت لـم بهتـــان
مزغـدان قطعـت والسخّـرا ... والديه والخطا ودار الأخـزانْ
نقّت ما طقت من مكسْ ومروسْ ... عنْ عربي او مقيطن او حـوزي
وقطعـت الوسق من هنا للسّوسْ ... في الماعون لكل كافر مخـزي
واذا فرجت عن ذا المحبوسْ ... التحريص نقطعو مـع ازرزي
ونـرد الفيـل تقـوده الـذرّا ... باحكامي والدياب مع الخرفانْ
حتى يسمعْ في كل سوق يقرا ... احكام عبد العزيز بن مروان
ضعف الدّين واستحالت النيّا ... يـاربْ والعدل بقـى فـردي
بركه من دم رجعت الدنيـا ... ومتـى نقـدر نطهـرا وحدي
واليوم الا عمش في حضرت العميا ... يتكنى بوضيـا ويومهـدي
ودنوبتـا ما ترفعـا إبـــرا ... لكن جودك وحلمك امنـــان
إن لم تنصر علي في ذا الحسرا ... لا يعقوبْ ينصرو ولا عثمانْ

واذا كانت الملعبة تنتمي بهذه السمات – التي ذكرناها باختصار – الى السيّر والملاحم الشعبية ، فانها – باعتبار آخر – تدوين لحركة ابي الحسن المريني من تلمسان الى القيروان ، ولهذا نجد ابن خلدون يقول ان الشاعر « اخذ في ترحيل السلطان وجيوشه الى آخر رحلته » ولسنا نعرف هل دُونت هذه الحركة من قبل أحد الكتاب ، مثلما هو الشأن في حركة ابي عنان الذي سلك فيها تقريباً مسالك ابيه نفسها ، ورمى الى مثل مقاصده ، وكانما اراد مضاهاة والده او التظاهر بتاديب المتظافرين على إفشال حركته ، وهيهات هيهات ، من تدارك ما فات ، ولمثله يقال في السرّ والعلن ، الصيف ضيعت اللبن .

11 – البناء العروضي :

اطلق ابن خلدون على قصيدة الكفيف اسم « الملعبة » وذكر انها نوعاً من فن زجلي ظهر في الأمصار المغربية يدعى « عروض البلد » ، وهو يعرف بهذا الفن في المقدمة قائلا :

« ثم استحدث اهل الأمصار بالمغرب فنا آخر من الشعر في أعاريض مزدوجة كالموشح ، نظموا فيه بلغتهم الحضرية ايضا ، وسموه عروض البلد ، وكان اول من استحدثه منهم رجل من اهل الأندلس نـــزل بفاس يُعرف بابن عُمير ، فنظم قطعـة علـى طريقـة الموشـــح ولم يخرج فيها عن مذاهب الاعراب ... فاستحسنه اهل فاس ، وولعوا به ، ونظموا على طريقته ، وتركوا الاعراب الذي ليس من شانهم ، وكثر سماعه بينهم واستعمل فيه كثير منهم ، ونوّعوه أصنافا الى المزْدوج والكازي والملعبة والغزل ، واختلفت اسماؤها باختلاف ازدواجها وملاحظاتهـــم فيها (33) » .

وقد ورد ذكر « ابي بكر يحيى بن عمير المغربي » هكذا عند مؤلف آخر من اهل القرن الثامن الهجري ايضا وهو صفي الدين الحلـي (34) ، واغلب الظن انه نفس المذكور في المقدمة .

اما ابن سعيد الذي أرخ في كتابه « المقتطف » (35) للموشحـات والازجال ، حتى منتصف القرن السابع الهجري ، فلم يشــر الى « عـروض البلد » ، ولم يذكرْ مخترعه ابن عمير ، وهذا يحملنا على الظن انه ظهـر بعد التاريخ المذكور اي في اواخر القرن السابع واوائل القرن الثامن الهجري

(33) المقدمة : 1407 – 1408 .
(34) العاطل الحالي : 32 ، 35 ، 52 ، 56 ، 70 .
(35) اقتبس منه « الخميلة الثانية عشرة المشتملة على ملح الموشحـــات والازجال » بتحقيق المرحوم الدكتور عبد العزيز الاهواني في « اعمال مهرجان ابن خلدون » من ص 470 الى 487 ثم نشره كله بعد ذلك الدكتور سيد حنفي .

ويفهم من كلام ابن خلدون أن « الملعبة » هي من اصناف « عروض البلد » الذي اخترعه ابن عمير ، وهو كلامٌ فيه نظر ويحتاج الى نقاش ، ذلك اننا نجد اسم « الملعبة » في نصوص قديمة متعددة يرقى بعضها الى اوائل القرن السادس الهجري ، فقد اطلقت « الملعبات » على قصائد لابن أبي الخصال (ت 540 هـ) ، ومنها واحدة ينْدُب فيها معاهد قرطبة والزّهراء ، واولها :

سمتْ لهمْ بالغَور والشملُ جامع   بروقٌ بأعلام العُذَيْب لوامعُ
فباحتْ بأسرارِ القلوب المدامِعُ   وربَّ غرامٍ لم تنلْه المسامِعُ
أذاعَ به مرقصُها المتصوبُ (36)

وملْعبات ابن ابي الخصال – كما ترى – من الشعر الفصيح المسمّط ولعلّها سميت هكذا لتلاعبه وتفنّنه في قوافيها او لقربها من الملاحم التي هي موضوع الملاعب .

كما نقرأ في توشيع التوشيح للصّفدي ما نصّه : « قال الاستاذ الأديب ابو الحسن علي بن سعد الخير رحمه الله ، من جملة كلام : ووجدنا بعض المتاخرين كمهيار الديلمي وابي محمد القاسم الحريري وغيرهما قد استنبطوا من تلك الأعاريض أقساما مؤلفة على فِقَرٍ مختلفة وقواف مؤتلفة .. وسموها « ملاعب » واستنبط منها ايضا اهل الأندلس ضربا قسّموه على اوزان مؤتلفة والحان مختلفة وسموه موشحا » (37) .

وقد ورد مصطلح « الملاعب » ايضا في كتاب « ريحان الألباب وريعان الشباب » لأبي القاسم محمد بن ابراهيم ابن خيرة المواعيني الاشبيلي المتوفى سنة 564 هـ ، قال في معرض كلامه عن قسم من الشعر سماه «الوزن المركب»

---

36) ترسل ابن الخصال : 115 مخطوط والاحاطة 2 : 396 – 403 ط . عبد الله عنان ، وفي طبعته تحريف كثير .

37) توشيع التوشيح وترجمة ابن سعد الخير في الذيل 5 : 187 – 191 .

ما نصه : « ولعل « الملاعب » والتّواشيح فيما إخالُ من هذا المقصد المركّب (38) » .

ويبدو ان هذا الأديب الناقد أطلق الملاعب هنا على عموم الازجال بدليل اقترانها عنده بالموشحات ، وجاءت الكلمة ايضا في كتاب المقتطف لابن سعيد بصيغة الجمع كذلك ، قال في آخر حديثه عن الزجّالين المعاصرين له في الأندلس وبلدان المغرب : « واشتهر في بر العدوة ابن يخلف الجزائري في أزجاله المعروفة بالملاعب (39) » ولعلّ الملاعب هنا بمعناها الاصطلاحي الخاص الذي هو صنف معين من الازجال .

ومن الغريب ان ابن خلدون الذي اعتبر « الملعبة » نوعا من عروض البلد المستحدث استعملها في موضع آخر من المقدمة ، للدّلالة على قصائد جفرية ملحونة ، يتنبأ فيها اصحابها بما يكون في المستقبل ، كتبدل الدول ، ووقوع الحروب والملاحم بين الأمم ، وقد قيلت قبل ظهور عروض البلد كملعبة اليهودي التي يقول فيها ابن خلدون :

« ومن الملاحم بالمغرب ايضا ملعبة من الشعر الزجلي منسوبة لبعض اليهود ، ذكر فيها احكام القرانات لعصره .. وذكر ميتَتَهُ قتيلا بفاس، كذلك فيما زعموه ، واولها :

صبغ ذا الازرقْ لس فيه خيارا   فافْهموا ياقومْ هذه الاشارا
نجمْ زُحل اخْبر بهذه العْلاما   وتبدّل الشكْلَ وهي سلهاما
بشاشيه زرقا بدّل العماما   وطاشور أزرق بدّل الغفارا

وفي آخرها يقول :

---

38) ريحان الألباب : 148 مخطوط .

39) المقتطف (انظر ص 486 من المصدر السابق)

قد تم ذا « التخميس » لانسان يهودي
يصلب على واد فاس في يوم عيد
حتى يجيبوه الناس من البوادي
محمول ياقوم على الغرارا

وابياتها نحو الخمسمائة وهي في أحكام القرانات التي دلت على دولة الموحدين (٤٥) » . وهذا اليهودي الذي لم يسمّه ابن خلدون ، ورد ذكره عند ابن عذاري في البيان المغرب وذلك بمناسبة الحديث عن أمر المنصور بفرض « شكلة اليهود » أي زيّهم الخاص قال : « ولما اتصل الخبر بابن نغرالة اللعين عمل أرجوزته (؟) التي اولها :

لبس ذا الازرق ليس فيه خسارا ... فافهموا ياقوم فيه هذي الاشارا

يذكر فيها نبذاً ونكتاً من الحدثان ، ويتعرض فيها للتفاؤل بهذا الأزرق للسلطان ، وفي اثناء ذلك وعك المنصور وعكه الذي توفي منه رحمه الله ، وربما قال اللعين اليهودي أرجوزته (؟) بعد وفاة المنصور ، وهو الصحيح » (٤٥م)

ويقول ابن خلدون في ملعبة اخرى لمن اسمه الهوشني : « ومن ملاحم المغرب أيضاً الملعبة المنسوبة الى الهوشني على لغة العامة في عروض البلد ، وأولها :

---

٤٥) المقدمة . والابيات المذكورة فيها تحريف في جميع نسخ المقدمة ، وقد صويت بعضه ، والشكل = الشاكلة ، وهي زي اليهودي الذمي ، والسلهام معروف وكذلك الشاشية والعمامة اما الطاشور او الطشور فهو اسم لرداء معين ، والغفارة من اسماء الالبسة عند الاندلسيين وهي تشبه البرنس ، انظر قاموس دوزى ٢ : ١٨ ، ٢١٨ . والغرارا = الغرارة .

٤٥م) البيان المغرب : ٢٢٨ والمشهور بابن النغريلة هو معاصر ابن حزم الذي رد عليه في رسالته ، وقد زعم اللعين انه قادر على ان ينظم جميع القرآن في اشعار وموشحات يغنى بها وتسبب بتحديه المقدسات في نهايته الشنيعة ومذبحة اهل طائفته بغرناطة ، اما ابن النغريله هذا المذكور في البيان المغرب فقد يكون من نسل المذكور او يكون ابن نغريلة آخر لان كلمة نغريله او نغديله تعني وظيفة من وظائفهم .

دعني يادمعي الهتان ... قفرت الأمطار ولم تفتر
ونشفت كلها الويدان ... وانت تملا وتتغدر
البلدان كلها تروى ... فاوقاتا مثلما تندري
وانت الصيف والشتوى ... وفصل الفاكي والربيع تجري
قال حين صحت الدعوى ... دعني نبكي ومن عذري
ايادبر في ذي الأزمان ... ذا القرن اشتد وتمرمر

وهي طويلة ومحفوظة بين عامة المغرب الأقصى ، والغالب عليها الوضع لأنه لم يصح منها قول الا على تاويل تحرفه العامة او يجازف فيه من ينتحلها من الخاصة » (٤٦)

نستنتج من هذه النصوص التي تيسّر لنا جمعها ما يلي :

— أولا ان مصطلح الملعبة كان موجوداً قبل « عروض البلد » الذي تحدث عنه ابن خلدون وازدهر في العصر المريني .

— ثانيا ان الملعبة كمفهوم عروضي ، لم ترد الا في مصادر مغربية ، اذ لم نقف عليها فيما راجعناه من مصادر مشرقية ، كما انه لا وجود لها بالمعنى الاصطلاحي في المعاجم اللغوية القديمة ، وقد ذكرها دوزي في معجمه ، وعرفها بانها ضرب من الشعر الشعبي ، واقتصر على ورودها عند ابن خلدون ، واشار الى مواضع ورودها في المقدمة .

— ثالثا ان الملعبة اطلقت على قصائد متنوعة القوافي .

— رابعا ان الملعبة اصبحت في الأخير علماً على فن من الشعر الزجلي الذي يدور حول الملاحم في الغالب .

والظاهر انهم اعتبروا في اشتقاق « الملعبة » ملحظين :

---

٤٦) المقدمة ، ولا نعرف من هو هذا الهوشني كما لا نعرف معنى هذه النسبة .

أحدهما اللعب بالقوافي ، ولعلّ هذا هو ما يشير اليه ابن رشيق اذ يقول : « وبشار ابن برد قد كان يصنع المخمّسات والمسمّطات عبثاً واستهانة بالشعر (42) » .

وثانيهما انهم اعتبروا ما سوى الشعر الفصيح أهزالاً فقد اشار كل ابن بسام وابن خير الى « أهزال » الشاعر الأندلسي ابن شخيص (43) ، وذكروا في ترجمة ابن خبّازة تفنّنه في اساليب الكلام معربه وهزله (44) ، وأشار ابن الخطيب في تراجم ابن باق وأبي الحجاج الطرطوشي وسهل بن مالك الى كلامهم الهزلي غير المعرب (45) ، ونجد شيئا من هذا في بعض تراجم ابن الأبار وابن عبد الملك وابن الزبير وابي الحسن الرعيني ، وكلّ ذلك يوضح ملحظ الاشتقاق في الملاعب والأهزال .

لقد ضاعت الملاعب التي اشار اليها العواعيني ، وكذلك ضاعت ملاعب ابن يخلف الجزائري التي كانت مشهورة في بر العدوة كما يقول ابن سعيد ، وضاعت ايضاً ملعبة الهوشني ، وملعبة اليهودي الفاسي ، وضاعت أخيرا الملاعب التونسية التي وردت الاشارة اليها في مقدمة ابن خلدون ، ولم يصل إلينا من هذه الملاعب كلّها الا ملعبة الكفيف الزرهوني ، ومن هنا فانها تعتبر مثالا فريداً لتبين البنية الشعرية للملعبة ، باعتبارها نوعاً من فن عروض البلد ، وقد اشار ابن خلدون الى بعض الملامح الشكلية لهذا الفن ، واهمهـا :

— مجيئه في أعاريض مزدوجة اي انه مقيّد" بالتقفيه في جميع الاشطـــار .

42) العمدة لابن رشيق .

43) الذخيرة وفهرست ابن خير .

44) الذيل والتكملة 8 : 388 .

45) انظر تراجمهم في الاحاطة .

— شبهه للموشح التام في كونه يتركّب من أقفال وابيات تتعاقب من البداية الى النهاية مع ثبوت القافية في الأقفال وتغيّرها في الأبيات .

وهذا ما نجده في ملعبة الكفيف وفي مزدجات ابن شجاع التازي ، فانّها كلّها تحاكي — من حيث البناء ، لا من حيث الاعراب طبعاً — الموشح التام في نمطه الغالب الذي يمثله موشح ابن سهل : « هل درى ظبى الحمى » وما جرى مجراه كموشح ابن الخطيب « جادك الغيث » وغيره ، ويتجلّى الشبه الشكلي في كونها تتركب من اقفال ذات أشطار اربعة وابيات ذات اشطار ستة .

وتتميز الملعبة — من حيث الشكل دائما — بهذا الطول الذي يسلكها في عداد الملاحم ، اذ ان ملعبة اليهودي الفاسي وملعبة الكفيف الزرهوني تقعان في نحو الخمسمائة بيت ، وملعبة الكفيف — من جهة اخرى — تترسم القصيدة العربية من حيث براعة الاستهلال ، وحسن التخلص او الخروج ، وبراعة الاختتام ، وتشبيه القصيدة بالخريدة ، واهداؤها الى الممدوح .

كما تتميز بالاستفتاح بالتصلية على الرسول ، والترضية على الخلفاء الراشدين ، والعشرة المبشرين بالجنة ، وهي تختتم بمثل ذلك ، وبالترحّم على الشيخ وكذلك باستعمال كلمةِ تَرْمَزْ الى تاريخ النظم ، واستعارة المطلع او الخرجة التي نسجت القصيدة على منوالها .

وقد انتقلت هذه المميزات الى شعر الملحون الذي ظهر في مرحلة تـاليـة .

— اللـغـة :

يرى المستعرب الفرنسي الاستاذ كولان (46) ، ان جميع الازجال المغربية التي ترجع الى ما قبل العصر السعدي ، قد نظمت باللهجة الاندلسية

46) دائرة المعارف الاسلامية (مادة المغرب) (الطبعة الفرنسية الاولى) .

التي كانت بفضل ازجال ابن قزمان وغيره لغة الزجل « الكلاسيكية » ، ويبدو انه استند في اطلاق هذا الحكم على نماذج الازجال المغربية التي اوردها ابن خلدون في المقدمة ، ومنها نموذج ملعبة الكفيف ، ومع تضلّع الاستاذ كولان في اللهجات ، وتمرسه بقراءتها ودراستها ، فان حكمه المذكور يظل قابلا للنقاش ، فاذا كنا نعرف الكثير عن اللهجة الأندلسية بفضل وفرة نصوصها ، فاننّا لا نعرف طبيعة العامية المغربية القديمة ، ولا مبلغ الفرق بينها وبين عاميّة الأندلس وهو فرق سجله ابن خلدون عقب سرده ازجال الأندلسيين والمغاربة فقال : « واعلم أنّ الذوق في معرفة البلاغة منها (اي من الازجال) كلها انما يحصل لمن خالط تلك اللغة ، وكثر استعمالُه لها ، ومخاطبته بين اجيالها ، حتى يحصّل ملكتها كما قلناه في اللغة العربية ، فلا يشعر الاندلسي بالبلاغة التي في شعر اهل المغرب ، ولا المغربي بالبلاغة التي في شعر اهل الأندلس والمشرق ، ولا المشرقي بالبلاغة التي في شعر اهل الأندلس والمغرب ، لأن اللّسان الحضري وتراكيبه مختلفة فيهم ، وكل واحد منهم مُدرك" بلاغة لُغته وذائق" محاسن الشّعر من أهل بلدته 47 . » وهذا الذي يقولُه" ابن خلدون لا ينفي طبعا مستوى الفهم ، فقد كانت ازجال ابن قزمان مقروءة في العراق والشام ومصر (48) . وكانت مزدوجات ابن شجاع التازي معاصر الكفيف الزرهوني مروية في الأندلس الى جانب ازجال مدغليس وابن قزمان والدبّاغ المالقي (49) .

ومهما يكن الأمر فان ملعبة الكفيف تستعمل فعلاً لغة الزجل الأندلسي . وتشتمل على الفاظ معروفة في هذه اللغة ، ولعلّها كانت من الالفاظ المشتركة بين عامية الأندلس وعامية المغرب ، فقد ذكر بعضها ابن هشام اللغوي الاشبيلي السبتي في كتابه لحن العامة (50) ، وهذه طائفة منها :

---

47) المقدمة : 1474 — 1475 .

48) الزجل في الاندلس للدكتور الاهواني .

49) انظر ازهار الرياض 1 : 123 ووصف افريقيا 2 : 64 .

50) انظر ما نشره الدكتور الاهواني في مجلة المخطوطات .

— بلج اي اغلق الباب بالبلّج اي المغلاق . انظر رقم 194 وقد وردت في لحن العامة لابن هشام وفي .ALC ص 97 و .Voc ص 40 ، 521 وسيمونيت ص 438 ودوزي 438 ويقال البلاج — وجمعه بلاّجة او بلّاجين — لصاحب هذه الحرفة ، وسوق البلاّجين في فاس معروف الى اليوم بهذا الاسم ، انظر بيوتات فاس : 24 دار المنصور . وسمعت ان الكلمة مسموعة في منطقة الشاعــر .

— ساف ، وهو الباشق . انظر رقم 97 ولحن العامة لابن هشام ، ودوزي 1 : 703 وما تزال الكلمة مسموعة" في بعض المناطق بالمغرب .

— شابل ، اسم سمك معروف الى اليوم في المغرب يصطاد من الأنهار ، انظر رقم 408 وابن هشام ، والزجالي 2 : 140 ، 437 .

— شاشية ، وهي القلنسوة . انظر رقم 225 وابن هشام و .Voc ص 122 و ص 280 و .ALC ص 117 وص 143 وزوي 1 : 802 وهي شائعة في المغرب .

— عاد بمعنى بعد . انظر رقم 170 وقد ذكرها الزبيدي وابن هشام ووردت في .ALC و .Voc ودوزي 2 : 186 وما تزال مستعملة في المغرب . ووردت مرارا في أزجال ابن قزمان .

فدان للموضع الذي يحرث اي الحقل ، (رقم 456) وهي عند ابن هشام والزبيدي ، واستعملها ابن قزمان بهذا المعنى . وانظر دوزي 2 : 246.

— قيطون بمعنى خيمة استعملها بهذا المعنى ابن قزمان وهي معروفة في المغرب . انظر رقم 343 .

— عصا موسى ، وهي تسمية أندلسية للثريا . انظر رقم 404 .

— الزكروم : القفل والغلاق : رقم 391 . وهي مدونة في .Voc ص 188 وما تزال مسموعة في المغرب .

— الزز بمعنى صفع القفا . رقم 425 . وهي مستعملة في الشعر الأندلسي فصيحه وعاميّه . وفي امثال الزجالي وغيرها وقد ذكرها الزبيدي في تاج العروس ثم قال : « وهي شائعة بالاندلس » وانظر ما كتبناه حول الكلمة في كتابنا :

أمثال العوام في الأندلس 2 : 237 .

— برّح بمعنى نادى ، والبراح المنادي ، رقم 298 . وهي كلمة شائعة في النصوص الأندلسية والمغربية ، ووردت في امثال الزجالي 2 : 132 ، 230 ، 390 .

— تور بمعنى حسكة او شمعدان رقم 397 وقد وردت في الاستبصار : 20 وفي امثال الزجالي 2 : 184 وهي في Voc. ص 278 .

— قارح بمعنى فرس وجمعه قرّاح . رقم 145 . ووردت في امثال الزجالي 2 : 353

— مَجنة بمعنى ثدي . رقم 440 والكلمة واردة في Voc. ص 467 .

وممّا هو مشترك بين لهجة الملعبة واللهجة الأندلسية ايضا ما يلي:

— المحافظة على كسر عين اسم الفاعل من الثلاثي مثل :

عادِل ، قاس ، طائِل ، سائس الخ .

وهذا معروف في العامية الأندلسية وعامية منطقة جبالة في المغرب ، واليها ينتمي صاحب الملعبة ، اما الشائع عند غير جبالة فهو الفتح .

— المحافظة على صيغة اسم الموصول : الذي . فاستعمالها هكذا متكرر في الملعبة ، وهي المستعملة في امثال الزجالي واغلب النصوص الأندلسية العامية .

— ورود التنوين المفتوح ، وهو نوع من التنوين شائع في الأمثال والأزجال ، وقد تحدثت عنه في دراسة امثال الزجالي . انظر ج 1 ص 281 — 282

— استعمال « إكان » بمعنى لَوْ ، واصلها ان كان . انظر رقم 341 .

— استعمال « بحل » للتشبيه ، وهو استعمال ما يزال جاريا في اللهجة المغربية الى اليوم .

— استعمال « ترى » « واذا به » انظر الارقام 202 ، 230 ، 427 . وهو استعمال اندلسي سجله معجم Voc. ص 360 .

وتستعمل ايضا بمعنى « ها هو » . انظر دراستنا لأمثال الزجالي ج 1 ص 298 .

— استعمال « لس » اي ليس ، رقم 19 .

— استعمال « هَوْلَ » اي هؤلاء ، رقم 255 . وترد كذلك في الأزجال الأندلسية (العاطل الحالي : 50) وهي في معجم Voc. ص 444 .

— استعمال « ذوك » بمعنى اولئك رقم 255 .

وقد وردت في الملعبة امثال عامية توجد عند الزجالي وابن عاصم ومنهــا :

اش دعانا لراس الاقرع ... رقم 110

الاعمش في حضرة العميا ... رقم 350

لا مكان ولا إمكان . رقم 46

اذا نزل لقضا عمت الابصار . رقم 67 .

زز قادسي ، رقم 425 .

در في غزولك . رقم 101 .

وبعضها ما يزال مسموعا الى اليوم .

ان هذا التماثل بين ملعبة الكفيف الزرهوني وبين النصوص الأندلسية من حيث الاستعمال يمكن تسيره بما يلي :

– تاثر الزجال المغربي القديم بمحفوظه من الازجال الأندلسية .

– اشتراك لهجتي الأندلس والمغرب في عدد كبير من الألفاظ التي تعتبر الفاظا مغربية بالمعنى الواسع .

– تاثر لهجة منطقة جبالة التي ينتمي اليها الكفيف باللهجة الأندلسية بحكم القرب والجوار ، ولأن اهل جبالة او غمارة كانوا يقومون دائما بفرض الجهاد في الأندلس ويتطوعون بدخولها من اجل ذلك ثم يعودون إلى ديارهم ، ثم ان عددا كبيرا من الأندلسيين استقروا بمنطقة جبالة في افواج متعاقبة ، فرارا من الفتن التي كانت تنشا في الأندلس ، وخلال فترة الجلاء عن القواعد والمدن المفقودة ثم بعد الخروج الأخير من غرناطة وتوابعها .

ومع ما ذكرناه من مؤثرات اندلسية في الملعبة ، فانها تحتفظ بخصائص محلية ، هي خصائص لهجة جبالة ، وهذه المنطقة تمتد في شكل هلال من طنجة الى تازا ، وهي محفوفة بحزام من المدن هي النكور وبادس وتيجساس وتطوان وسبتة والقصر الصغير وطنجة واصيلة والقصر الكبير والبصرة واسجن وبني تاودة ووليلي وفاس . وقد انتشرت اللغة العربية في هذه المنطقة ، بفضل قربها من هذه المراكز الحضرية ، وارتباطها بالمسالك التجارية ، وانتشار المدارس القرآنية وغيرها ، وساعد في تعريبها ايضا مجاورتها للأندلس وصلتها بها ، وقيام إمارات ادريسية وغيرها فيها .

ويذكر الادريسي ان القبائل المجاورة لفاس – حيث نشا صاحب الملعبة – كانت تتكلم بالعربية ، قال : « ويسكن حولها (فاس) قبائل من

البربر ولكنهم يتكلمون بالعربية ، وهو بنو يوسف وفندلاوة وبهلول (بهاليل) وزواوة ومجاصة وغياثة وسلالجون » (51) .

وقد درس المستعربون مثل بروفنسال وكولان هذه اللهجة الجبلية في العقود الاولى من هذا القرن (52) ، وما تزال محتفظة ببعض الخصائص التي نجدها في ملعبة الكفيف الزرهوني .

ومن ابرزها :

– حذف الهاء من ضمير الغائبة في مثل قول الكفيف :

مِنّا اي منها ، رقم 7 .

ما أصعبا اي ما اصعبها ، رقم 51 .

ما اشرا اي ما اشرها ، رقم 51 .

شرقا اي شرقها ، رقم 49 .

ومثل هذا كثير في الملعبة .

وفي بعض الحالات نجد الشاعر يقف على الهاء المذكورة بالسكون ويفتح ما قبلها كقوله :

ما شراها مليك ولا باعَهْ . (أي باعها) رقم 14 .

ومثل هذا الاستعمال معروف في لهجة اهل تطوان فهم يقولون في المثل : إذا جاتْ تقودَهْ بشعرا ...

وقد جمع الشاعر بين الاستعمالين في قوله (رقم 5) :

كانت إذا ذكرت كره خَبْـــرا   وقال اسمَــهْ يفــرق الاخـوان

---

51) نزهة المشتاق : 240 (الطبعة الايطالية)

52) لبروفنسال كتاب في لهجة ورغة ولكولان كتاب في لهجة تازة

أي كره خبرها ، وقال : اسمها .

– حذف الهاء ايضا من ضمير الغائبين (والغائبات) كما في قوله :

بينم "اي بينهم . رقم 217 .

لـّم اي لهم . رقم 341 .

عندم" اي عندهم . رقم 339 .

ومثل هذا متكرر في الملعبة . وهو مما يميز لهجة جبالة عن غيرها .

– استعمال فعل « القى » بمعنى عمل كقوله :

حتى الـقى سلسلا لذاك الشان . رقم 31 .

وما تزال مسموعة في مناطق جبالة وقد تنطق بالراء . وهي بالراء في لهجة غرناطة . انظر ALC. ص وقاموس دوزي .

– استعمال « فاه » من الاسماء الخمسة . ولا يوجد هذا الاستعمال في اللهجات العامية في حين انه ما يزال موجودا في لهجة جبالة .

وثمة بعض الظواهـر الصوتية في رسـم النسخة الخطيـة الوحيدة للملعبة ككتابة الصاد سينا في الكلمات التالية :

– السحرا أي الصحراء . انظر الأرقام 36 ، 17و

– يسورو = يصورو . رقم 47 .

– يسرح أي يصرح . رقم 58

– التسريح = التصريح . رقم 58

– السح أي الصح والصدق . رقم 267

– الحسرا = الحصرا . رقم 352 .

– الحسران أي الحصران والحصار . رقم 471 .

وكتابة الضاد دالاً مثل :

– ودحا = وضحى أي واضحى . رقم 224 .

وكتابة الزاي جيما مثل البيجان أي البيزان . رقم 330

وكتابة الجيم دالا مثل دشم أي جشم . رقم 252

ولكننا لا نعرف هل هذا يمثل لهجة جبالة أم لهجة الناسخ المجهول ، ونشير بالمناسبة الى الفرق الواضح في القراءة بين النسخة الخطية ، وما ورد من الملعبة في مقدمة ابن خلدون وأزهار الرياض وقد اشرنا الى بعض هذه الفروق في حواشي الملعبة .

ويبدو ان الكفيف كان يعرف الأمازيغية ، فقد استعمل جملـة" مـن كلماتها ، واستعان بها في بعض قوافيه ، وها هي الكلمات الواردة في الملعبة :

– إيسان اي الخيل . رقم 116

– اسردان اي البغال . رقم 142

– انزران أي المطر . رقم 236

– إيمزدغن اي السكان . رقم 342

– أزرزي أي الكلفة المخزنية ، ومنها الكلمة المعروفة الزّرْز اي اي الحمال . رقم 345 .

– غيلاس أي النمر او الذئب . رقم 114

– تاسا أي الوسط . رقم 288

– تيسدنان أي النساء . رقم 221 .

ومن المعروف ان شيخ الزجّالين ابن قزمان استعمل في أزجالـه بعض الكلمات البربرية مثل أشكد

ونشير في النهاية الى مستوى لغوي آخر في الملعبة وهو المستوى الفصيح ، ويتجلى في طائفة كبيرة من الالفاظ المعجمية مثل الر'ان ، الزرق ، القطعان ، الشعراء ، المعجر ، الصافنات ، وغيرها . كما يتجلّى في التراكيب العربية التي لا ينقصها الا الاعراب ، ولا شك ان هذا يدل على ثقافة الشاعر وتمكنه المتين من اللسان العربي المبين .

5ـ منهج التحقيق :

يعرف المشتغلون بتحقيق النصوص محاذير إخراج النص الـذي لا توجد منه الا نسخة واحدة ، ولربما أوصوا بالعدول عن إخراجه ، وتزداد هذه المحاذير اذا كانت النسخة الوحيدة سقيمة النقل والضبط ، سيئة الكتابة والخط ، كما هي حال النسخة التي بين ايدينا من هذه الملعبة ، فلقد بلغت من رداءة الخط مبلغا لا يطاق ، علاوة على ما فيها من تحريف في اسماء الأماكن والاعلام وغير ذلك ، وقد لقيت في فك بعض رموزها نصبًا ، وكدت أنصرف عنها لولا ما تبين لي من الفائدة في معاناتها على علاّتهـا وإخراجها مـن الظلمات الى النور .

وقد حافظت من باب الأمانة على معظم رسمها وضبطها ، الا ما كان من قبيل التحريف البيّن او التصحيف الظاهر ، كما احترمت ترتيب اقسامها ما عدا مرّة واحدة بدت فيها ابيات في غير محلها ، وهي الأبيات الأولى من المناجاة الطويلة التي قالها الشاعر على لسان السلطان أبي الحسن المريني خلال حصار القيروان ، ونبهت على ذلك في النص .

وقد عنيت بشرح الكلمات ، وإيضاح المعاني ، وتوثيق الاشارات التاريخية وغيرها ، وعارضتها بالاصول التاريخية المعاصرة كالعبر لابن خلدون والمسند لابن مرزوق ، كما اني رقمت الأبيات ، لتسهل الاشارة اليها عند الاستشهاد بها او الاحالة عليها .

بهذا كله خرج هذا النص الشعبي القيم من صورته الغامضة كما هي في المجموع الخطي رقم 184 بخزانة ابن يوسف بمراكش الى هذه الصورة الواضحة التي اضعها بين يدي القارئين والدارسين ، مقتديا بابن خلدون شيخ المؤرخين المغاربة الذي نوه بالملعبة وصاحبها .



هذه قصيدة يذكر فيها حركة ابي الحسن المريني رحمه الله الى القيروان ، وانهزامه بذلك المكان ، وهي للكفيف رحمة الله علينا وعليه ·

---

١ – سبحان مالك خواطر الأمرا
وَنواصيها كلَّ حين وزمان

٢ – ان طعناه عطفم لنا نصرا
وان عصيناه قضى بكل هوان (1)

٣ – قلب السلطان يقال كالجوزا (2)
وقلوب الخلق جاريا مجراه

٤ – ان كان عادل برافة العزا
يطلع منها نسيم يشق اذكاه

---

1) ونواصيها · في الازهار : بنواصيها ، كل حين ، في الازهار : في كل حين · عطفم = عطفهم · وفي الازهار : اعظم لنا نصرا ، وهو تحريف · وقد امتدح ابن خلدون في المقدمة هذا المطلع وقال : « وهو من ابدع مذاهب البلاغة في الاشعار بالمقصد في مطلع الكلام وافتتاحه ويسمى براعة الاستهلال · » وقد نظم الكفيف في هذا المطلع الاثر الآتي : « قال وهب بن منبه : فيما انزل الله على نبيه داود عليه السلام : اني انا الله مالك الملوك ، قلوب الملوك بيدي ، فمن كان لي على طاعة جعلت الملوك عليهم نعمة ، ومن كان لي على معصية جعلت الملوك عليهم نقمة · » العقد الفريد : 1 : 7

2) من جملة ما يشبه به السلطان الشمس وغيرها من الكواكب ، ولعل وجه التشبيه بالجوزاء انها تبدو كملك على راسه اكليل ، وفي اساس البلاغة (ج ب ر) : « وطلع الجبار اي الجوزاء لانها في صورة ملك متوج على كرسي » وفي الاصل : كجلوزا وهو تحريف ·

5 – اذا يعدل قد فتحت الغرزا
كانو مصباح وهي تصير لضياه (3)

* * *

6 – حتى في السنبلا وفي التمرا
يظهر عدلو نعم وفي الحيوان

7 – وان كان جاير علت منا قترا
يطلع منها على القلوب الران (4)

8 – قال الهادي : بعثت غض حلو
في ايام الخليفة العادل (5)

9 – يعني كسرى ، وكان سبب عدلو
واذكر فيه الخطيب (6) كلام طايل

---

3) كأنه ينظر الى قول بعضهم في اردشير : « فقد اشرق على الارض من ضياء نورك ما عمنا عموم ضياء الشمس ، ووصل الينا من عظيم رافتك ما اتصل بانفسنا اتصال النسيم » . وتصير = تسير .

4) يقول وهب بن منبه : اذا هم الوالي بالعدل ، ادخل الله البركة في اهل مملكته ، حتى في الاسواق والارزاق ، واذا هو بالجور ، ادخل الله النقص حتى في الاسواق والارزاق » . (الشهب اللامعة 85 – 90 والمصادر المحال عليها .) ويقول الطرطوشي بعد كلام في الموضوع : « وهكذا تتعدى سرائر الملوك ، وعزائمهم ، ومكنون ضمائرهم ، الى الرعية ، ان خيرا فخير وان شرا فشر . » ومنا = منها ، وقترا = قترة ، وهي الغبار ، والران : سواد القلب ، وهي لغة في الرين ، وفي القرآن الكريم : كلا بل ران على قلوبهم .

5) المراد به كسرى انو شروان اشهر ملوك الفرس ، وفي ايامه ولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكسرى هذا هو المقصود في الحديث النبوي : « ولدت في زمن الملك العادل » ، اما الذي بعث الرسول في زمنه فهو كسرى ابرويز . انظر العبر 2 : 359 ، 367 .

6) لعله يقصد الخطيب البغدادي ، فهو اشهر من عرف بالخطيب ، ولكني لم الف في كتابه تاريخ بغداد على شيء مما يشير اليه المؤلف .

10 – قال : كان يصطاد في رهط من خيلو
حتى قام بنداه غزال جافل (8)

* * *

11 – فانقطعوا الخيل واتبعه كسرا
حتى حر النهار عليه وليان (9)

12 – واقبل – قالوا – لروضة خضرا
واجمع رأيو يقل في ذا البستان

13 – اتاه بالرحب صاحب الروضا
واذا شاب مليح من الطاعه (10)

14 – نزل كسرى في روضة غضا
ماشراها لا مليك ولا باعه (11)

15 – حين راح واستراح وطاب ورضا
نظر رمان مليح في فراعه (12)

* * *

16 – قالوا : يافتى ! هات من التمرا
فاقطفها لو وجا بيها عجلان

---

7) بنداه اي بندائه .

8) جافل : هارب .

9) وليان كذا في الاصل ، ولعل معناها : وضعف ، او انها : وسخان = وسخن اي النهار ولروضة : في الاصل : بروضة ، ويقل = يقيل ويستريح .

10) من الطاعة اي من الرعية ، وبالرحب : كذا في الاصل ولعلها : بالترحيب

11) باعه = باعها ، ماشراها : في الاصل : ماراها .

12) حين ، في الاصل : حتى ، نظر ، في الاصل : ينظر ، في فراعه = في فراعها اي فروعها ، وفي الاصل : في شراعه ، ولا معنى لها

17 — لـمّن خـذها الـملك في فه و عـسرا
وجـد مـاها كـلـذة السـلـوان (13)

18 — قال السـلـطن فخاطرو يـصـلـح
لـبـحـل (14) ذا الملك كان يكون مـلكي

19 — نعـطيه شي من ذهـب و لـم يـبـرح
حتى يـخـرج منـه وهو يـبـكـي

20 — قال لو يا شـب عد لـهـا واسـرح
وايـتـني باخـتـها من الـفـكي (15)

* * *

21 — فـقـطـفـها لو وجا بـهـا و جـرا
حتى وضعـها لو على الـكـفـان

22 — لـمّن ذاقـها تحـولـت مـرا
كالحنظل بل اشد في الذوقان (16)

23 — قال السلطان للشاب عـجـبـي
ما اخـبـت هـذي وما اكـرم الاولـى

24 — قال الجـنان : ومرسـل السـحـب
الا مـن فـرد غـصـن مـنـجـولـى

---

13) لمن = لما ان . في فه = في فمه . وعسرا = وعصرها . والسلـوان = السلوى

14) لبحل = لمثل .

15) الفكي = الفكية اي الفاكهة . ويا شب = يا شاب .

16) لمن = لما ان . الذوقان : المذاق .

25 — هـذك هي اخـتـه بلا ريـب
ولا بينهم في المحل حـيـلـولى (17)

* * *

26 — لاشـك ان الـقـديـمـة الـهـجـرا
سـقـطـت في طـيب نـيـة السـلـطان

27 — ما جـئـتـك باخـتـها مـن الشجـرا
حـتى غـيـر سريـرت الشيطـان

28 — فـقـلـع كـسـرى على الـذي أضـمـر
وحـلـف من تـم ما يـزل يـعـدل

29 — قال سوق (18) الـثـالـثـة لـنـسـتـخـبـر
واقـطـفـها لـي مـن الـجـني الاول

30 — لـمّن خـذ ها الـمـلك في فـه وعـسـر
وجـدهـا كالـمـتـقـلـى بـعـسـل (19)

* * *

31 — مـن ذاك الـوقـت ماظـلـم ذرا
حتى الـقى سلـسـلا لـذاك الشان

---

17) للشاب : في الاصل : لشباب . من فرد غصن واحد (انظر في هـذا الاستعمال Voc ص 574 .) ومنجولة بمعنى مقطوعة ، والاحسن ان تكون منخولة اي مختارة . وحيلولى = حيلولة .

18) سوق = سق اي احمل وهات . (راجع امثال العوام للزجالي) .

19) ورد ما يشبه هذه الحكاية في كتاب آثار الاول في ترتيب الدول : 17 — 18 وفي سراج الملوك : 91 وقال الطرطوشي انها حكاية مشهورة بالمغرب . وقد وردت الحكاية منسوبة لاحد الاكاسرة في وفيات الأعيان 5 : 283 — 280 وفي الشهب اللامعة لابن رضوان : 90 وحلف من ثم . في الطرة : وحلف في الحين .

32 – اذا هـز المشتكي وهـو بـرا
حـرك التاج واقبل البهمان (20)

33 – قال : كن مرعى ولا تكن راعي
فالراعي عن رعيته مسئول (21)

34 – واستفتح بالصلاة على الداعي
بالرضوان والرضا السني المكمول

35 – وعلى الخلفا الراشدين والاتباع
وابدا من بعد ما تحب تقول

* * *

36 – احجاجا تخللوا السحـرا (22)
ودروا شرح البلاد مع السكان

37 – عسكر فاس المدينة الغـرا
اين صارت بـه عزايم السلطان

(20) يشير الى ما يحكى من ان كسرى انو شروان صنع في الايوان المشهور سلسلة عظيمة ذات اجراس ، وجعل لها طرفا خارجا عن القبة ، وامر مناديه : من كان مظلوما فليحرك السلسلة ليعلم به الملك فيزيل ظلامته ، قال العسكري : وهذا هو الاصل في قول الناس : حرك فلان على فلان السلسلة ، اذا وشى به . سرح العيون : 58 . ولقى اي عمل (في لهجة جبالة) ورقى في اللهجة الغرناطية وقد ابدلت راؤها لاما ، وفي رسالة الملك بوعبدل الى الملكين الكاثوليكيين ما نصه : « وترى هذا خط يدي وطابعي ارقيته عليها » (انظر صورتها في تاريخ عنان) . وهز = هزها . والبهمان في الفارسية : الوزير . وفي الاصل المخطوط : والهيمان ، وهو تحريف .

(21) اشارة الى الحديث : كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته .

(22) السحرا = الصحراء ، حافظنا على رسمها كما ورد في الاصل . وفي مقدمة ابن خلدون وازهار الرياض : الصحرا .

38 – احجج بالنبي (23) الذي زرتـم
وقطعتم لـو كلاكـل البيـدا

39 – عن جيش الغرب جيت نسالكم
المتلوف في افريقيا السودا

40 – وامير كـان بالعطـا يزوكـم
ويدع بـرية الحجاز رغدا (24)

* * *

41 – كف قام كالسد صادف الحدرا
وتفجر شوطو بعدما يحقان (25)

42 – او ردوم كان زف وبهت بغبرا
ادي صار ازغار بهم سيحان (26)

43 – ايا دبر لي بعقلك الفحـاص
وتفكر لي في خاطرك جمعـه

(23) بالنبي ، سقطت من الاصل المخطوط ، وهي موجودة في المقدمة والازهار .

(24) الامير هو ابو الحسن المريني ، وقد عقد ابن مرزوق في المسند بابا خاصا في تمهيد ابي الحسن طريق الحج والعمرة ، وتحدث فيه عن معونته الدائمة لمن يريد الحج ، وتجهيزه الركوبات في كل سنة ، واهدائه المصاحف التي خطها بيمينه الى المساجد الثلاثة ، انظر المسند : 385

(25) الحدرا والحدورة : المنحدر ، وشوطو ، هكذا في الاصل وفي مقدمة ابن خلدون وازهار الرياض ، والشوط في اللغة ممر طويل بين جبلين ولعلها محرفة عن : حوضو اي حوض السد ، يحقان = يحقن : يجمع ويخزن .

(26) ردوم وبهت : نهران معروفان في المغرب ، وهما من روافد وادي سبو ، وكلمة ادي لهجة في الذي وازغار : كلمة بربرية معناها السهل والبسيط من الارض ، وهي تطلق على المنطقة التي تدعى الغرب ، وسيحان : في الاصل : سجان ، وفي البيتين تحريف في المقدمة وازهار الرياض .

44 — ان كان توجد حمام ولا رقـاص
عَنِ السّلطان شهر وقيل سبعه

45 — بكتاب عبـد المهيمن الغواص
وعلامه تنتشر كما الصّمعه (27)

• • •

46 — الا نـاس عـاريين بلاسترا
وناس جافلا لا مكان ولا امكان (28)

47 — مانـدرو كف يسورو الكسرا
أم كف دخلوا مدينة القروان (29)

27) عبد المهيمن الحضرمي السبتي اديب وعالم مشهور كان كاتب العلامة للسلطان ابي الحسن ورافقه الى افريقية ولكنه تخلف عن واقعة القيروان لما كان به من علة النقرس وبقي في تونس ولما وصل خبر الواقعة وحوصر اشياع السلطان واهله في القصبة فارقهم عبد المهيمن واختفى عند آل خلدون في المدينة ، وحين عاد السلطان الى تونس اعرض عنه مدة ثم رضي عنه واعاد اليه العلامة الى ان توفي بتونس في الطاعون الجارف سنة 749 ، اما صورة العلامة التي شبهها الشاعر بالصومعة فقد وردت في بعض الاصول الخطية من نفح الطيب .

انظرها في طبعة د . احسان عباس 4 : 394 ، ورواية ازهار الرياض :

بكتـاب عبـد المهيمـن القـواص   وعلامـات تنشر علـى الصمعـا

وورد محرفا في المقدمة .

28) في الاصل : لا قرار ولا امكان
والرواية في ازهار الرياض هكذا :

الا قـوم عـاريـيـن بـلا سـتـرا   مجهولـيـن لا مـكـان ولا امكـان

وهو يشير الى العسكر الذين وصلوا الى المغرب بعد نكبة القيروان « عراة زرافات ووحدانا » كما يقول ابن خلدون . العبر 7 : 578 وعبارة : لا مكان ولا امكان . وردت مما يتمثل به في امثال الزجالي ، انظر ق 2 ص 405 وعكس العبارة جاء في قصيدة للفقيه عمر الزجال اذ يقول :

وقـد عـاشرتنا اسـرة كيموريـة   اقامت لـدينا في مكـان وامكـان

29) اي لا ندري كيف يستطيعون الحصول على الخبز ، ويسورو وردت في الاصل بالسين . والنطق الشائع بالصاد .

48 — لو كان ما بين تونس الغربا (30)
ومدينة فاس سد الاسكندر (31)

49 — مبني من شرقا الى غربا
طبقا بحديد وطبقا بصفر (32)

50 — لابد الطير كان يجي بنبا
أو رقاص ياتنا بفرد خبر (33)

• • •

51 — ما اصعبا من امور وما شرا
لو تقرا كل يوم على الويدان (34)

30) تونس الغرباء ، فيه اشارة الى اصل تسميتها وما يدل عليه اسمها كما يقول الشاعر :

فتونـس تونـس من جاءها

راجع كتب البلدان .

وهذه رواية المقدمة وازهار الرياض وفي الاصل :

لو كان من باب تونس الغربـا   لمدينة فاس سـد الاسكنـدر

31) اشارة الى السد الذي ورد ذكره في القرآن الكريم .

32) شرقا = شرقها ، وغربا = غربها ، وصفر : نحاس ، وطبقا : في الاصل : وثانيها وفي الطرة وازهار الرياض : وثانيا .

33) بفرد خبر اي بخبر واحد ، وفي ازهار الرياض : او ياتي الريح عنهم بفرد خبر .

34) ما اصعب = ما اصعبها ، وفي الازهار والمقدمة : ما اعوصها ، وما شرا = وما اشرها ، والويدان صيغة جمع عامية لواد ، وفي المقدمة (ط ، بولاق) الديـوان .

52 – لَجَرَتْ بالدم وانْصَبَغْ حَجَرا
وهوت لجْراف وجفت الغدران (35)

53 – امولاي بالْحَسَن خطينا النّباب
في قضيت سيرنا الى تونس

54 – في غنى كنا عن الْجَريد والزاب
وَ شلك بعرب فريقية الغوبس (36)

55 – اما بلغك عن عمر فتى الخطاب
الفاروق فاتح القرى الموسس

• • •

56 – فتح الشام والعراق وتاج كِسرا
ولم يفتح من فريقيه دكان

---

35) حجرا = حجرها ، لجراف = الاجراف ، وقد صور الشاعر في هذه الابيات كيف عديت الانباء على اهل المغرب وعظم قلقهم بعد كائنة القيروان بسبب انقطاع الاخبار ، ولكن يحيى ابن خلدون يقول في بغية الرواد : « قال المؤلف عفا الله عنه : وقفت على كتب كثيرة من السلطان ابي الحسن لحواضر بلاده يعتذر لهم فيها عن هذه الوقيعة بانخذال بني عبد الواد عنه ساعة اللقاء ومظاهرتهم العرب عليه » . بغية الرواد 2 : 146 .

ويبدو ان هذه الكتب لم تصل او اخفيت عن الناس ، ومثل هذا الاخبار والاعتذار معروف في سياسة بعض ملوك المغرب كما فعل الناصر الموحد عقب هزيمة العقاب ، انظر الروض المعطار (العقاب) .

36) ذكر صاحب المعجب ان « بلاد الجريد التي يقع عليها هذا الاسم تنقسم الى قسمين : قسم يسمى قسطيلية وهذا الاسم يقع على توزر واعمالها وقسم يسمى الزاب وهذا الاسم ايضا يقع على مدينة بسكرة واعمالها » (المعجب : 355) ، وشلك : مالك ولهم ، والغوبس = الغبس جمع اغبس وهو الذئب ، وفي نسخ المقدمة والازهار : القوبس ، القويس ، وهو تحريف .

57 – كانت اذا ذكرت كره خبرا
وقال اسمه يفرّق الاخوان (37)

58 – هذا الفاروق زمرد الايمـان
يصرح في فريقيه بذا التصريح

59 – وبقت حمى الى زمان عثمان
وفتحها ابن الزُبير بالتّصحيح (38)

60 – لمّن بلغت غنايمها (38م) الديوان
مات عثمان وانقلب علينا الريح

• • •

61 – وبقت الناس على ثلاث أمْرا (39)
وبقي ما هو السكوت عنْ ايمان (40)

62 – اذا كان ذا في مدة البررا
اش يفعل في اواخر الازمـان

---

37) فتى الخطاب ، في الازهار : بن الخطاب ، الموسس ، في الازهار : الموئس ، وفي المقدمة : المونس ، المولس ، البولس ، فتح ، في الازهار : ملك ، وخبرا = خبرها ، اسمه = اسمها ، وانظر رواية الازهار ، والشاعر يشير الى ما يذكره المؤرخون من ان عمرو بن العاص استشار عمر بن الخطاب في غزو افريقية فمنعه من ذلك وقال له : انها ليست بافريقية ولكنها المفرقة ، غادرة مغدور بها ، لا يغزوها احد ما بقيت ، (ابن عبد الحكم : 40) .

38) فتحت افريقية في خلافة عثمان على يد عبد الله بن ابي سرح وعبد الله ابن الزبير الذي حمل خبر الفتح الى الخليفة ، وقوله : وبقت حمى الى زمان عثمان ، هكذا ورد في ازهار الرياض ، وفي الاصل : وبقيت جمه ... (38م) هكذا في المقدمة ، وفي الاصل : كتائب = كتائبها اي كتبها ، ولمن : لما ان .

39) يشير الى الفتنة الكبرى وما حدث من اختلاف المسلمين بعد مقتل الخليفة عثمان وافتراقهم الى فريق علي وفريق معاوية وفريق الخوارج .

وامرا (بسكون الميم للضرورة) : امراء ، والبررا (بسكون الراء الاولى للضرورة ايضا) : البررة .

40) في رسالة ابن ابي زيد القيرواني انه ينبغي الامساك عما شجر بين الصحابة

63 – واصحاب الاجفار في كتيباتا
وفي ترحيل كاتب وكيوانا (41)

64 – تذكر في شعرا وابياتـــا
لسطيح وشق وابن مرانا (42)

65 – أن مرين اذا اتكت براياتا (43)
لجدران تونس يسقط شانـــا

* * *

66 – وذكرت ما قال لي سيد الوزرا
عيسى بن الحسن رفيع الشان

---

41) في كتيباتا اي في كتيباتها . وفي المقدمة : في مكناساتنا . والكاتب هو عطارد . وكيوان هو زحل . والترحيل هو ترحيل المقاتل على البروج . وهو فرع من التنجيم ، وتوجد فيه مصنفات ومنظومات . وانظر في الاجفار مقدمة ابن خلدون .

42) في شعرا = في شعرها (في الازهار : في صحفها) وابياتا = وابياتها . وسطيح وشق : كاهنان معروفان ، اما ابن مرانة فقد ذكر ابن خلدون في المقدمة ان له قصيدة في الملاحم من بحر الطويل على حرف الراء . قال : « وهي متداولة بين الناس ، وتحسب العامة انها من الحدثان العام فيطبقون كثيرا منها على الحاضر والمستقبل . والذي سمعناه من شيوخنا انها مخصوصة بدولة لمتونة . لان الرجل كان قبل دولتهم . وذكر فيها استيلاءهم على سبتة من ايدي موالي بني حمود وملكهم لعدوة الاندلس » . وذكر المقري ان ابن مرانة عمل قصيدة في الكوائن والحوادث برسم الحاجب سقوط احد ملوك سبتة ، وتنسب اليه قصيدة اخرى من بحر الطويل ايضا في ترحيل المقاتل على البروج الاثنى عشر ، واولها :

الا بلغـــوا عني جميـــع القبائـــل امورا بدت لي في مسير المقاتل

وتوجد منها نسخ مخطوطة في الخزانة الحسنية بالرباط . وابن مرانة هذا هو نفسه الذي ورد ذكره في معجم البلدان لياقوت ، قال متحدثا عن سبتة : « وقد نسب اليها جماعة من اهل العلم ، منهم ابن مرانة السبتي ، كان اعلم الناس بالحساب والفرائض والهندسة والفقه ، وله تلامذة وتاليف ، ومن تلامذته ابن العربي الفرضي الحاسب ، يقولون انه من اهل بلده ، وكان المعتمد ابن عباد يقول : اشتهيت ان يكون عندي من اهل سبتة ثلاثة نفر : ابن غازي الخطيب ، وابن عطاء الكاتب ، وابن مرانة الفرضي » . وابن مرانا : ورد في المقدمة (ط باريس) وابن مروانا .

43) اتكت . في المقدمة : تكف . وفي الازهار : اتكبت . براياتا = براياتها ، شانا = شانها .

67 – قال لي ريت وانا بها ادرى
لكن : اذا نزل لقضا عمت لجفان (44)

68 – ونقول لك ما رمى المرينيـــا
من حضرة فاس الى عرب دباب (45)

69 – أراد المولى يموت أبو يحيى (45م)
صاحب تونس وساحل العناب (46)

---

44) وذكرت ... في المقدمة والازهار : قد ذكرنا ما قال . وريتا = ريتها اي رايتها . وفي المقدمة : رايت . وفي الازهار : ربنا . بها . في المقدمة : بدا . وعيسى بن الحسن بن علي بن ابي الطلاق . كان من مشيخة بني مرين وصاحب شوراهم وعهده . وكان والي الثغور الاندلسية التابعة لبني مرين في عهد السلطان ابي الحسن ، وكان يبعث عنه في الشورى حتى عنت . وقد استشاره قبل حركته الى افريقية . قال ابن خلدون : « واشار عليه بالاقصار عنها واراه ان قبائل بني مرين لا تفي اعدادهم بمسالح الثغور اذا رتبت شرقا وغربا وعدوة البحر ، وان افريقية تحتاج الى اوفر الاعداد ، واشد الشوكة ، لتغلب العرب عليها ، وبعد عهدهم بالانقياد فاعرض السلطان عن نصيحته » وذكر ابن مرزوق انه لما « وصلت كتب افريقية على اختلاف اصنافها وطوائفهم بالدخول تحت ايالة امامنا ، والالجاء اليه ، مما دهمهم من الامر المكروه ، استخار الله عز وجل ، واستشار ، فاشار جماعة بعدم حركته اليها ، منهم الشيخ عيسى بن الحسن ، وخاطبه في ذلك مرات وجماعة من بني مرين اعزهم الله ، وكان هذا هو الذي كشف القناع في ذلك . » وقد اتهم هذا الشيخ بالعصيان سنة 756 هـ على ابي عنان في جبل طارق ، وفصل ابن خلدون خبر انتقاضه ، والقبض عليه ، وقتله قعصا بالرماح ، كما تحدث عنه ابن بطوطة في رحلته ونعته « بعامل الجبل الخائن الذي ختم له بالشقاء » واطال في النيل منه ، اما ابن مرزوق فقد تحفظ في شانه واكتفى بقوله : وكان من امره ، ما الله اعلم به » . ويفهم من كلام الشاعر هنا انه كان على صلة به . وانظر ايضا القصيدة التي رفعها ابن عبد المنان في التحريض على قتله في نثير الجمان : 337 — 342 .

45) ونقول : في المقدمة والازهار : ويقول . ما رمى . في المقدمة : ما دهى . دباب : في ازهار الرياض : ذياب .

45م) هو السلطان الحفصي ابو يحيى ابو بكر بن ابي زكرياء وكانت وفاته سنة 747 هـ . اخباره في العبر وتاريخ الدولتين وغيرهما .

46) ساحل العناب : بونه التي تسمى اليوم عنابة ، وفي المقدمة (ط. باريس) وازهار الرياض : وصاحب العناب وفي المقدمة (ط. بولاق) وصاحب الابواب . وقد ذكر الحسن الوزان ان عامة الناس يسمون عنابة : بلد العناب لكثرته بها . وهكذا سميت ايضا في فيض العباب . (راجع وصف افريقيا وفيض العباب) .

70 — ولقَد كان قَبْل هذه الأشْيَـــا
جَعَل اولادو لابو الحسن انْساب

• • •

71 — حن مات صادفتم وراه حَسْرا
وبطَرفيهم عمَـر بَـطَــرهامَــان

72 — سلَك قَع دخلْتم على الشّفْرا
حتّى غار من جفاه بو لَحْسن

73 — وسخ ملوك الموحدين تَوسيـخ
وقتَل خاه الكبير ومَن نَصْـرو

74 — بعْدن تقدم وقام مقام الشيْخ
واحتال حين جا يبايْعو غَدرو (47)

---

47) قع اي جميعا ، دخلتم ، لعلها تحريف جملتم = جملتهم ، وصادفتم = صادفتهم ، وفي الطرة : صادف ثم ، والشفرا = الشفرة اي السكين ، يشير الى ما حدث في تونس بعد وفاة السلطان الحفصي ابي بكر ، فقد كانت ولاية العهد لولده احمد الذي كان واليا على بلاد الجريد ، ولكن اخاه عمر بادر الى القصر ، وتحايل في اخذ البيعة لنفسه ثم بطش بعد ذلك باخوته احمد وعزوز وخالد ، وعمت الفوضى في افريقية ، ويقول ابن الحاج النميري في هذه الحادثة موريا .

وقالوا : ابو حفص حوى الملك غاصبا — واخوته اولى ، وقد جاء بالنكر
فقلت لهم كفوا ، فما رضي الورى — سوى عمر من بعد موت ابي بكر

انظر العبر 6 : 807 — 811 ، والاحاطة 1 : 349 .

وابن الحاج النميري صاحب هذا الموقف كان في خدمة الحفصيين ثم اصبح فيما بعد من كتاب ابي عنان المريني وهو مدون حركة ابي عنان الى افريقية في رحلة اسماها : فيض العباب ، وانظر في الكيفية التي تم بها الأمر لعمر المذكور ، المعيار المعرب ج 10 ص 59 والزركشي : 80 .

و « ملوك الموحدين » هم هنا الحفصيون ، لأن هؤلاء فرع من الموحدين .

وبعدن في البيت الاخير هي بعد ان ، والضمير في قوله : تقدم ، وقام ، يعود على الاخ الاكبر احمد ، والشيخ يعني به السلطان المتوفى ، والضمير في : واحتال ، يعود على عمر .

75 — ولقد كان قَبْل هـذا التاريــخ
بويَحْيى ارسل لـَبو الحسن صِهْرو

• • •

76 — حفْصي من بناته الصغْرا (48)
مَع ما كانوا فيما مَضَى اختَان

77 — والقصا لـقَد تعرفو خَبْرا (49)
لاكِـن رادوا يجَـددوهـــا الآن

78 — وتـولى البنْت ولـد بوزكْـري
مع خاه بو الفضل وابن تافراجين (50)

79 — في محلّة كالنجوم اذا تَسْري
للسلْطان بو الحسن سِراج الدّين

---

48) هي الاميرة عزونة بنت السلطان ابي بكر الحفصي ، وهي الحفصية الثانية التي تزوجها السلطان ابو الحسن ، بصداق جملته خمسة عشر الف دينار ذهبا ومائتا خادم ، (الزركشي : 79) وابتنى لها قصرا رفيعا بتلمسان ، حكى ابن مرزوق انه انجز في اسبوع (المسند : 448 — 449) ، وانظر العبر لابن خلدون 7 : 536 .

49) القصة المعروفة التي يشير اليها الشاعر هي زواج ابي الحسن بالاميرة فاطمة الحفصية ، وقد زفت اليه من تونس سنة 631 هـ واحتفل بزفافها احتفالا عظيما لم يسمع مثله في دولة بني مرين ، وتحدث الناس به ، ويذكر ابن خلدون ان ابا الحسن اغتبط ، من خلالها ، وعـزة سلطانها ، وقيامها على بيتها ، وظرفها في تصرفاتها ، والاستمتاع باحوال الترف ولذاذة العيش في عشرتها ، ولهذا كله ولاعتبارات سياسية تزوج — بعد موتها في واقعة طريف — باختها عزونة المذكورة آنفا ، العبر 7 : 524 — 536 ، 555 ، 550 ، وخبرا = خبرها .

50) لا تذكر كتب التاريخ ابا زكرياء يحيى ولد السلطان ابي بكر الحفصي وابن تافراجين في المرافقين لركب الأميرة عزونة ، وانما تذكر شقيقها ابا الفضل والشيخ عبد الواحد بن اكمازير ، اما الأمير ابو زكرياء الذي ذكره الشاعر ، فهو شقيـق الاميرة فاطمة ، ويرد اسمه في خبر خطبتها ، كما ان ابن تافراجين كان وقت زفاف عزونة في تونس ، وشهد وفاة السلطان ابي بكر وما تلاها من احداث ، ثم التحق على اثر ذلك بابي الحسن في تلمسان ، العبر 7 : 524 ، 550 والمسند : 350 .

80 – أرادَ المَولَى يموت بوزكري
والارسال في الطريق بِذات الزّين

* * *

81 – في المنصورة دخل بذا العذرا
قبل ان تعلم بوالده ما كان (51)

82 – واجتمعوا درتين في حضرا
لكنّ الدّهر ماله أمان

83 – ثم أتت من فريقيا رسلا (52)
بالذي هتك عمر منَ الأستار

84 – مِن قتلت خاه ومحنة الدّولا
وهتك الملك وانكشاف لسرار

85 – وتعلّق بالملك خا الطفلا
والشيخ بن تافراجين (53) الغرار

* * *

51) يقول ابن خلدون ان ابا الفضل الحفصي والوفد المرافق لشقيقته عزونة « اتصل بهم الخبر اثناء طريقهم بمهلك مولانا ابي يحيى عفا الله عنه فعزاهم السلطان ابو الحسن عنه عند ما وصلوا اليه » . اما ابن مرزوق فيذكر انه سمع الخبر على سبيل السر من السلطان ابي الحسن قال : « وكان كتم خبره لئلا يتعرفه ولده ابو الفضل واخته العروس الموجهة اليه ، ومن معها من خدام ابيها » العبر 7 : 550 والمسند : 356 . والمنصورة هي المدينة الملكية التي بناها المرينيون في تلمسان ، وبوالده = بوالدها .

52) كان من هؤلاء الرسل الوافدين على ابي الحسن عقب حوادث تونس الحاجب ابن تافراجين ، وامير الكعوب خالد بن حمزة . انظر العبر .

53) بالملك : في نسخة اخرى : بالامير ، تافراجين : في نسخة اخرى : تافراقين . وابن تافراجين هذا الذي نعته الشاعر بالغدار او الغرار هو ابو عبد الله محمد بن تافراجين حاجب الملوك الحفصيين ، وهو ينتمي الى بيت من بيوت الموحدين وكان مؤسسة في تينمل من ايت الخمسين ، وقد ظهر من هذا البيت اعلام في خدمة الموحدين والحفصيين ذكرهم ابن خلدون (العبر 6 : 794 – 798) . ونعت الشاعر لابن تافراجين في محله فقد غدر ابا العباس احمد الحفصي ، وغدر اخاه ابا حفص عمر ، وغدر ابا الحسن المريني ، وغدر الفضل الحفصي ، وغدر شيوخ البدو ، وهكذا كانت حياته سلسلة من الغدر والمكر ، ونعته ابن خلدون في تاريخه وابن الخطيب في مراسلته بالدهاء . (راجع العبر والريحانة) .

86 – قالوا لو يا زمردَ الأمرا
انظر هذا المعقِ الأبوان (54)

87 – كيف حزّ الراس وقطّع البشرا
وخلط دم النسا معَ الصبيان

88 – هتك دولة بنو أبي حفص
اجبرها ياغضنفر الدّولا

89 – واحكم بالشرع فالذي يعصي
واستعمل لأرض تونس الرحلا

90 – أنتَ اليوم عندنا وكيل ووصي (55)
ومقام الأب والسها الأعلا

* * *

91 – وترى هذي بجاية الغرا
هبناها لك مصدّقة بأمان

92 – يدّك فيها من جنتَ الكفرا
مرسى وجبل ونهر وبستان (56)

54) ذكر ابن خلدون ان ابن تافراجين لحق بالسلطان ابي الحسن ، ورغبه في ملك افريقية ، واستحثه للقدوم عليها ، وحرك له الجوار فتنبهت لذلك عزائمه . العبر : 6 : 811 ، 7 : 557 .

55) هو وكيل ووصي بحكم الصهر والتوقيع على ظهير ولي العهد الشرعي المقتول ، قال ابن خلدون : ثم وصل الخبر بمهلك ولي العهد واخويه وخبر الواقعة فاحفظه (يعني ابا الحسن) ذلك ، لما كان من رضاه بعهده ، وخطه الوفاق على ذلك بيده في سجله ، وذلك ان حاجب الامير ابي العباس وهو ابو القاسم بن عتو من مشيخة الموحدين ، كان سفر عن السلطان لاخر ايامه الى السلطان ابي الحسن بهدية ، وحمل سجل العهد فوقف عليه السلطان ابا الحسن ، وسأل منه امضاءه لمولاه وكتابة ذلك بخطه في سجله ، فخطه بيمينه واحكم له عقده ، فلما بلغه مهلك ولي العهد تعلل بأن النقض اتى على ما احكمه » العبر 6 : 811 وفي ج 7 ص 558 ان ابا الحسن امتعض « لما اضاع عمر من عهد ابيه وهدر من دم اخيه ، ولارتكاب مذاهب العقوق فيهم وخرق السياج الذي فرشه بخطه عليهم » .

56) اي انه عرض عليه مملكة بجاية وما يتبعها .

93 – واعْظَم مِن ذا واجَل تَقْديسا
تَفْتَح طَريق الْحج للْحجاج

94 – وتنقيها مِن العَدو الْبِيسَا
حتى تمْشي فيها الْمرا بالتاج

95 – تشكَر بها الى قيام عيسى
وفي جبل عرفة اذا التقت لفواج

• • •

96 – ولبْحَل هذا المطامع الـغررا
يتَّم الأولاد ورمَّل النسْوان

97 – وتَرك بيزان بني مرين عبرا
تلْقطْها في فريقْيا السيفان (57)

98 – فخذ بقوال وزخْرف الاقوال (58)
ونَدّه الأطْبال وشَق لبْجايه

99 – ومنْ السوس جلْبه الى شرشال
قبّ وعلام وخَيل ومطايه

100 – وبقى عام تتجمع عليه الأبطال
تشرف رايه وتنزو رايه (59)

57) البيزان جمع باز ، والسيفان جمع ساف ، والساف هو الباشق في عامية اهل المغرب . (الفاظ مغربية م. م. المخطوطات نوفمبر 1957 ص 290 ودوزي 2 : 703) وقد كنى الشاعر عن بني مرين بالبزاة ، وعن البدو بالبواشق .

58) هكذا في الاصل ، ولعل الصواب : فخذ بقوال وفرق الاموال : ويقول ابن خلدون في هذا : « ففتح ديوان العطاء ونادى في الناس بالمسير الى افريقية » (العبر 7 : 558) . ويقول : « وفرق الاعطيات وازاح العلل » (العبر 6 : 812) . وشرشال : مدينة معروفة في الجزائر .

59) يذكر ابن خلدون ان عدد الرايات « كانت يومئذ مائة » . العبر 7 : 562 .

101 – ما خلى لا عرَب ولا قـرا
لا جابر ولا خلْط ولا سفْيان

102 – وزناتَ الناصية على الْغرا
واهل التدريس حمالة القرآن (60)

103 – كان فيها من صناديد آيْت مرين
ست عشر ألْف أو تنيف عاد (61)

104 – أولاد زيان وروس بني تجين
مع مغْراوه ورهْط عبْد الواد

105 – لاكن الشوك ما يعْطي التين
أو يجنى الورد من عروق الداد (62)

• • •

60) يشير الى العلماء الذين صحبوا السلطان المريني في حركته ، وكان عددهم كبيرا يبلغ نحو اربعمائة حسب بعض المؤرخين ، وقد ذكر بعضهم ابن خلدون في التعريف . (انظر الملحقات) وقرا = قرة ، وهي وما بعدها قبائل عربية ، وزنات = زناتة ، والغرا = الغرة ، والناصية على الغرة ، معناه انها اخيرهم . وحمالة القرآن : حملة القران وحفظته .

61) لا تذكر كتب التاريخ عدد الجيش الذي « حرك » به السلطان ابو الحسن الى افريقية ، وانما يذكر ابن خلدون انه رحل « يجر الدنيا بما حملت » العبر 6 : 812 والعدد الذي ذكره الشاعر هو عدد من كان في الجيش المذكور من بني مرين خاصة ، وايت في اللسان البربري هي حرف الاضافة النسبية ، هكذا شرحها ابن خلدون في العبر ، فايت مرين معناها بنو مرين .

62) ضرب الشاعر مثلين عاميين ، وهما كالمثل الفصيح : انك لا تجني من الشوك العنب ، وقول الشاعر :

من كان يأمل ان يرى … من ساقط امرأ سنيا
فلقد رجا ان يجتني … من عوسج رطبا جنيا

والداد : نبات معروف بهذ الاسم في المغرب ، وهو يقصد ان من ذكرهم ممن كان هواهم مع بني عبد الواد لا يوثق بهم ولا يعتمد عليهم .

106 — والريف ادى الحَشَم على النّجدرا
وبْني فدود ودّ خلف الوصفان (63)

107 — واعْيان الغرب زَيْنوا الحَضْرا
والروم والغز والرّمـــا صنفان (64)

108 — في تَلمسان جمع الْجيوش وطْلع
هذا والزرع كِف بدا يحصاد (65)

109 — أمارا مَن شلْف لِمَن جَمّـع
من فَقْد الما والغلاَ في الزّاد (66)

110 — واش كان دعانا لِراس الاقرَع
يغسل بالْما ولا يساق لِلْواد (67)

• • •

63) ذكر العمري في المسالك ان الحشم وبني فودود هم من اتباع بني مرين ، ويدخلون في سلك وصفان السلطان ، ورقات الاستاذ المنوني : 291 .

64) كان في جيش ابي الحسن الف وخمسمائة فارس من الغز ، واربعة الاف فارس او ازيد من الروم ، اما الرماة فهم صنفان اندلسيون ووصفان ، نص المسالك في ورقات الاستاذ المنوني : 291 .

65) كان خروج السلطان ابي الحسن من تلمسان في صفر من سنة 748 ه الموافق مايه — يونيه 1347 وهذا موعد بداية الحصاد في المغرب .

66) شلف او وادي شلف ، يطلق على السهل الواقع بين مدينة مستغانم ومدينة الجزائر ، ولم يشر المؤرخون الى ما ذكره الشاعر من الغلاء وفقدان الماء في هذه المرحلة .

67) هذا مثل مغربي ما يزال مستعملا (انظر كتابنا : امثال العوام ، ج 2 ص 47) وصيغة المثل عند الزجالي : اشكند خلق مع الاقرع تمشط راس ، وذلك لان الاقرع هو كما يقول المثل العربي القديم : من اني ترمي الاقرع تشجه ، والمثل يقال في تجنب كل ما من شانه ان يجلب المشاكل ، وقول الكليف : يغسل بالما ولا يساق للواد ، هكذا ورد في نسخة مصححة اشير اليها في طرة الاصل ، وجاء الشطر في الصلب هكذا : يغسل بالماء او يجا للواد ، كما ورد الشطر الاول هكذا : واش كان سقنا دعت لراس الاقرع .

111 — اما اغنى الباز عن جيفة السدرا
أو اكْفاه لَحَم الحجل مع السمّان

112 — واش لَمَن سبو لْبو غبـــرا
يعْدل من بسكرا لجبل الزان (68)

113 — نزل السلطان في حد ما يملك
من أرضو وانتقل لِواد بسباس

114 — ولجْبل الزان ولوطا حَـــرك
ما خَـلا لا سبـع ولا غيـلاس

115 — وبْقَ مع الشهر في الامم يسبك
من طاع ناز ومن عصاه يكباس (68)

• • •

116 — حتى بالخيل ردها شعْـــرا
ومن الواد الكبير سقى ايسان (69)

68) بوغبرا : اسم واد لم نقف ، وقد وصف الشاعر فيما سبق وادي بهت انه بوغبرا ، ويبدو انه هو نفسه ، وسبو : الواد المعروف ، وبسكرا : هي قاعدة بلاد الزاب (مزاب) ، وجبل الزان يقع في بلد زواوة ، مر به ابن بطوطة في طريقه من الجزائر الى بجاية (الرحلة 1 : 5) ، وكانت فيه واقعة بين الحفصيين والمرينيين (العبر 7 : 203) وبغية الرواد 1 : 147 وواد بسباس واد هناك ، ولوطا : هروطا قرية من نواحي بجاية ، وغيلاس كلمة بربرية معناها النمر ، ولعل الشاعر يلمح الى الاماكن او القبائل التي تحمل اسماء لسباع وذئاب وما اشبه ذلك ، ويكباس = يكبس اي يؤخذ ويسجن ، وقوله : ما خلا لا سبع ولا غيلاس ، ورد في نسخة اخرى اشير اليها في الطرة هكذا : ما خلا فيه سبع ولا غيلاس .

69) الشعرا = الشعراء ، وهي الارض ذات الشجر الكثيف ، والوادي الكبير : نهر يصب في البحر المتوسط على مقربة من بجاية ، ويسمى اليوم واد الصمام ، وثمة نهر يحمل اسم الواد الكبير ويصب عند طبرقة ولكنه اسم حديث فقد كان يسمى في القديم واد البربر ، وايسان كلمة بربرية معناها الخيل .

117 – حاول ثم بجاية الثغرا
جمعه وملك مفاتح البيبان (70)

118 – صرف فيها امور دعات تشكر
يرضاها الله ويقبل الهادي (71)

119 – صاب في بجاية مع الثلث خمر
كل خليع عند منا وادي

120 – فاهرقها في النهر حتى صار
خطنا يعدها الغادي (72)

• • •

---

70) البيبان : الابواب ، وتطلق ايضا على موضع قرب بجاية (راجع الخريطة) ويذكر ابن مرزوق ان السلطان لما وصل بجاية اختلف الناس ، فمنهم من كان هواه بتونس ، فقصد التقدم اليها لغرض كابن تافراجين وغيره ، ومنهم من اراد الانتهاء من امر بجاية اولا ، وهذا هو الراي الذي عمل به السلطان . المسند : 353 – 355 .

وما اشار اليه الكفيف من انتظار ابي الحسن مدة اسبوع على فتح بجاية لامتناع اميرها اولا ثم استسلامه اخيرا ذكره ابن خلدون وابن مرزوق بتفصيل ، واشار اليه كذلك الشاعر الرحوي اذ يقول :

لم تتلكأ عن اباء بجاية ... ولكن براض الصعب ثمة يركب
تأبت فلما ان اطلت عساكر ... ترى الشهب منها تستباح وتنهب
تبادر منهم مذعن ومسلم ... واذعن منهم شاغب ومؤلب

71) يفصل ابن خلدون هذه الامور المشكورة فيقول : « ودخل بجاية فرفع عنهم الظلامات ، وحط عنهم الربع من المغارم ، ونظر في احوال ثغورها ، فثقف اطرافها ، وسد فروجها » العبر 7 : 559

72) اتفق المؤرخون على مجانبة السلطان ابي الحسن اللهو ومحاربته الخمر ، وقد اقام فيها الحد على اعز اولاده ابي مالك ، فاقلع ، وسأل الشهادة ، فمات شهيدا بالاندلس ، كما اقام الحد على ولد وزيره عامر بن فتح الله (المسند : 142) ، وذكر العمري ان رجال جيشه « لا يقدر واحد منهم لمهابته على ارتضاع كاس ، ولا اهمال صلاة » (ورقات الاستاذ المنوني : 291) . وقد مدحه بهذا المعنى الشاعر التونسي الرحوي فقال :

اذا لذ للاملاك خمر مدامة ... فلذتك القرآن تتلو وتكتب
وان ادمن القوم الصبوح قائما ... على ركعات بالضحى انت تداب
وان حمدوا شرب الغبوق فانما ... شرابك بالامساء ذكر مرتب

وقد الف له ابو عبد الله العزفي كتابا في ذم الخمر . انظر العبر والمسند 277 ، 329 وجذوة الاقتباس وغيرها . ودعات تشكر : تستوجب الشكر ، ويقبل الهادي : يقبلها الرسول صلى الله عليه وسلم . وصاب = اصاب اي وجد ، والثلث اي ثلث السكان . ومنا = منها وخطا = خطها .

121 – ووجد رومي يوسق على الحفرا
قرقر قمح قد تزران

122 – فسخ بيع وملك الفقرا
ودفع لو من مخازن الاثمان (73)

123 – خلا احكام البلاد لابن النوار (74)
ورحل عنها الى قسمطينا

124 – ايام وليالي واوديه واوعار
وقبايل كالذياب تدور بنا

125 – ناس جاهلا لا قرار ولا ايثار
لم ترع عهدها ولا دينا

• • •

---

73) الوسق : تصدير السلع الى الخارج ، والحفرة يقصد بها المرسى ، والقرقورة السفينة الكبيرة لحمل المتاع والكراع ، وقد شبه الشاعر كبر حجمها بتيزران ، وهو اسم جبل يقع في بلاد غمارة ، وصنيع ابي الحسن في بجاية – حسب الشاعر – يتفق مع سياسته في منع تصدير القمح والسلاح والخيل والجلود المملحة والمدبوغة الى الروم كما ورد في معاهدة له مع مملكة ميورقة .

74) يقول ابن خلدون : « وعقد عليها لمحمد بن النوار ، من طبقة الوزراء ، والمرشحين لها ، وانزل معه حامية من بني مرين .. وارتحل مغذا حتى احتل بقسنطينة » العبر 7 : 559 – 560 . وسيذكر الشاعر محمد بن النوار هذا فيمن فرطوا في حق السلطان ابي الحسن ، ومحمد بن النوار المذكور هو الذي خاطبه ابن الخطيب برسالة لما اعرس ببنت مزوار الدار السلطانية ، وكان معروفا بالوضاءة وحسن الصورة . وقد صدر لسان الدين رسالة تهنئته بهذين البيتين :

ان كنت في العرس ذا قصور ... فلا حضور ولا دخالة
فثوب نظمي مناب قيس ... والنثر يغني عن قفة النخالة

نفح الطيب 6 : 208 .

وعبارة ولا دينا ، في البيت الاخير ، اصلها : ولا دينها .

127 – في قسمطينا محلة نشرا

فوق ذاك الواد كشقة السوسان (75)

128 – ينظر قلعا تقابل الزهرا

طريق ملوي ولا منار حسان (76)

129 – حاولها شهر وفتحا صلحا

واستملك حوزها على رغما

130 – وخرج منها عمر طريد ودحا

مع من طاعو يسير في كمكما

---

75) تحدث العمري عن هذه الشقة التي شبهها الشاعر بأزهار السوسن لبياضها فقال : « فاذا نزل ضربت له شقة من الكتان .. وتكون هذه الشقة كالمدينة لها اربعة ابواب » ورقات الاستاذ المنوني : 307 وانظر : « تذكر افراق السعيد ، واوصافه المعروفة عند القريب والبعيد » في فيض العباب : 64 – 67 . وقد وصف ابن الخطيب محلة ابي سالم المريني فقال (النفح 5 : 33)

والله عينا من رآها « محلة » في الحشر لا تحصى بعد وحسبان

الى ان يقول :

مضارب في البطحاء بيض قبابها كما جليت للعين ازهار سوسان

وما ان رأى الراءون في الدهر قبلها قرارة عز في مدينة كتان

ومحل الاستغراب في البيت انهم في الاندلس يضربون المثل بهوان الكتان ، فمن امثالهم : اذا عز فهو بز ، واذا هان فهو كتان . امثال العوام في الاندلس 2 : 18 . ولعل الوادي الذي نزل به ابو الحسن هو الفحص الابيض الذي نزل به ولده ابو عنان فيما بعد (فيض العباب : 123 – 124) .

76) أي ان قلعة قسنطينة لعلوها تسامي نجم الزهرة ، وان طريقها ضيقة وملتوية ، والصعود اليها كالصعود الى منارة حسان المعروفة بالرباط . وطريق = طريقها .

131 – وبقَ ما بيْن تونَس والفسْحا

مبْلي بالعَرب وحكْما (77)

* * *

132 – ولقد كان قبل شهر يا حسرا

جيش يمشي في سد من عربان

133 – محلة يمنى وثانية يسرا

من ذا الواد الكبير الى زغوان (78)

134 – في عرب يصبح وفي عرب يمسي

منهم يرحل وبينهم ينزل

135 – وفي كل شهر من العرب يكسي

سبعين ويجد من الذهب بحمل

136 – والعربي كالندى على الغرس

يوما تقطع عنو العطا يخذل

137 – او كالعوسج ترى شجر خضرا

غدا يلقاك بشوك كالظربان (78م)

---

77) انظر في دخول ابي الحسن قسنطينة : العبر 7 : 500 ، والفارسية : 169 – 170 ، ورواية الشاعر تتفق مع رواية ابن قنفذ الذي يقول : « وعند وصول خبر حركة الامير ابي الحسن المريني ، خرج الامير ابو حفص بمحلة كبيرة من تونس ، وقصد قسنطينة ، وطلب الوقوف بها لتكون اليد واحدة ، فلم يساعده في ذلك ولاتها خوفا من العاقبة » . وعمر : هو ابو حفص المذكور ولد السلطان ابي يحيى الحفصي . وفتحا = وفتحها ، وعلى رغما = على رغمها ، ودحا = وضحا اي واضحى ، وحكما = وحكمها ، وبعض كلمات البيت الاخير مضببة .

78م) الظربان دويبة منتنة ذات شوك حاد ، ويطلق على شوك الصبار كذلك .

138 – ما يعْطيك لا زهَر ولا تمْرَا

ولَو تسقِي شجرة بما النيسان (79)

139 – خلا ظهْر حجرة العقاب

ومَشَى العسْري يجد في أثر عمر (80)

140 – (من) باجْ واد الذهب قطع لدراب

تونَس ونزل عقيبة السحْتر (81)

141 – وجد الفاعل خرج منا وهرْب

بمْحلا من عرْب ومن بربر (82)

• • •

79) ماء النيسان هو مطر أبريل المضروب به المثل في النفع والبركة . انظر كتابنا : أمثال العوام 2 : 349 . وما الطف ما مثل به الشاعر لجحود الاعراب .

80) حجرة العقاب : وفي العبر : سطح الجعاب . ولم اتمكن من تحقيق الاسم . ويذكر ابن خلدون أن السلطان أبا الحسن تلوم بقسنطينة واستعرض عساكره بسطح الجعاب منها ، وورد الاسم نفسه في الاستقصا . والعسري هو أبو معروف حمو ابن يحياتن القائد الكبير ، وقد وجهه أبو الحسن في اثر عمر الحفصي فأدركه بناحية قابس وقضى عليه (انظر 7 : 500 – 501 – 6 : 813 – 814) ويجد : يغذ السير .

81) يتابع الشاعر حركة أبي الحسن فيذكر انه ترك وراء ظهره حجرة العقاب أو سطح الجعاب بقسنطينة ، وقطع الدروب الى باجة القمح الذي كنى عنه الشاعر بالذهب . وبعد ان استراح السلطان بباجة ، انتقل الى تونس ، حيث نزل بعقبة السحتر . وقد كانت كدية الصعتر كما سماها ابن خلدون أو السعترية كما يسميها الزركشي موضعا لنزول المحلات وضرب الاخبية . العبر 6 : 151 الزركشي : 137 ، 143 ، 151 .

82) الفاعل : يقصد به عمر الحفصي . ويقال : الفاعل التارك ، لمن يفعل المسائل القبيحة ويترك الخصائل المليحة . وللعسيلي موريا بالفاعل اي خادم البناء في لغة أهل مصر : (ريحانة الالبا 2 : 201)

وفاعل يتركني عامدا — وهو لرقي في الهوى مالكي

أقول للناس الا فاعجبوا — من صنع هذا الفاعل التارك

وهنا = منها .

142 – ما خلا لا ذهب ولا درا

الا حمل في ظهور ايسردان (83)

143 – ما ولف بوه وما جمعوا الأمرا

وأولاد بوحفص من قديم الأزمان

144 – قام بالمال في الدجى وصار يسري

كاد يصعد في السما بغير جناح

145 – وتبع بو معروف العسري

في اثني عشر الف تركب القراح (84)

146 – لحقوا وتقاتلو قتال بدري

في مدتا كل من حضرها جاح

• • •

147 – غدر المركوب وحم لوه قهرا

بعض عرب ليد قايد السلطان

148 – فخشى ان يندمو عليه بكرا

قطع الراس قبل صرخة الأذان

149 – لمن فات عن حكمهم ندمو

كف قال وتأسفو عليه تأسيف

83) الدر : اللؤلؤ . وايسردان كلمة بربرية معناها البغال . وكلمة حمل يمكن أن تقرأ حصل .

84) القراح الخيل . وفي الامثال العامية : من لا يركب قارح ، لس يرى روح فارح : امثال العوام ، من تحقيقنا 2 : 303 . في مدتا : يمكن قراءتها ايضا : في مدنا ، وجاح : هلك . ليد : في الاصل : بند ، ولعل معناها : بنداء .

150 — قالوا غدًا نكلموا حمّو
يخرجه لنا لمجلس التعريف

151 — فاذا ريناه ولاح لنا نجمو
خرجناه من محلتو بالسيف

• • •

152 — ثم نردوه لحالة الأمرا
ونكون عسكرو بحال ما كان

153 — لمن جاو فيه لقايد الامرا
خرج لهم جمجما بلا جثمان

154 — لمن سقط النوار وجاح العود
ما وسعم غير فرقو الحزما

155 — حازوا مال الشقى وهو المقصود
وسروا به في المهامه الجفا

156 — عمل الراس في الوعا كما العنقود
حتى رماه بيد بو لحسن بدما (85)

• • •

85) هذا الذي ذكره الشاعر مطابق لكلام ابن خلدون ، قال : « وسارت العساكر لطلب الامير ابي حفص ، فادركوه بارض الحامة من جهات قابس ، وصبحوهم فدافعوا عن انفسهم بعض الشيء ، ثم انفضوا ، وكبا بالامير ابي حفص جواده في بعض نافقاء اليرابيع ، وانجلت الغيابة عنه وعن مولاه ظافر راجلين ، فتقبض عليهما واوثقهما قائد الكتائب في قيده ، حتى اذا جن الليل ، وتوقع ان يفلتهما العرب من اساره قبل ان يصل بهما الى مولاه ، فذبحهما وبعث براسيهما الى السلطان ابي الحسن ، فوصلا اليه بباجة » . العبر 6 : 813 — 814 . وذكر ابن مرزوق أن السلطان كافأ قائده بخطة الوزارة ، قال : « ثم اجرى عليه لقب الوزارة وخططه بها في مكاتباته ومخاطباته ، وذلك حين تخلص من خدعة العرب ومكيدة اولاد ابي الليل لما هموا بانتزاع الامير عمر من يده على ما هو معروف » واغفل شرح هذا المعروف لديه ، ولدى اهل وقته وقته، وهذا ما تكفل به الشاعر الكفيف ، والمؤرخ ابن خلدون ، وقد استفاد قائد حفصي من هذه الخطة حين قبض على امير ثائر على السلطان عثمان الحفصي ، فقد قطع راسه لما توقع ان يفلته العرب من اسره قبل وصوله الى السلطان وبعث اليه بالراس . تاريخ الزركشي : 140 .

لمن = لما ان ، ما وسعهم = وسعهم ، بدما = بدمها .

157 — لاكن قام فيه وجه اخته الحرًا
ما طاف به ولا التقى في سنان (86)

158 — ترجع الاخبار للطامه الكبرى
وقضية حربنا مع العربان

159 — نبدا بالفاعي الى السلطان اشرب
حنظل منها وجاف أو كاد

160 — فالاول جر من وراه عقرب
فبني تجين ورهط عبد الواد (87)

161 — سم اللفعى على سنا يعطب
والجرح اذا برى بماه يفسد

• • •

162 — واولاد بوحفص جرح لا يبرا
قالوا سقناه يعز ملكا هان

86) أي ان عمر المقتول لم يطف براسه ، ولم يعلق على رمح ، كما جرت العادة حتى يتحقق الناس موته . وهذا مراعاة لاخته الحرة عزونة زوج السلطان .

87) يقول يحيى ابن خلدون متحدثا عن بني عبد الواد : « حتى اذا اذن الله بحركة السلطان ابي الحسن الى افريقية سنة 748 ﻫ كانوا ممن استجاش في عسكره الفاعي كامنة » بغية الرواد 1 : 142 . وقد ورد البيت الاول مضطربا في الاصل . وللشطر الاخير رواية في الطرة هكذا : فاولاد زيان ورهط عبد الواد .

على سنا = على سنة اي ان سم الافعى يقتل ولو مضت عليه سنة . بماه : في الطرة : بريح .

163 — أما هـو رَدْ مَـمْلَكَة لأخْـرَى
وتْرَكْنا فـي مَحَلْنـا جيـران (88)

164 — والعلة الثانية دشَم ومْريـن
وعظم الدَّولا القْديمة البانْيا (89)

165 — قالوا ما خصنا سوى ارض الصين
لـو قـال قوموا لها لقلنا أيـــا

166 — أولادنا تْيتْمو بْنات وبْنيـن
ونْسانـا تْرَمْلـوا ونَحْـن أحْيـا

* * *

167 — ولو راك خدت الاسد من الشعرا
ويراد في قبضتك عيان وبْيـــان

88) يفسر هذا ما ذكره عبد الرحمن ابن خلدون من ان الفضل ولد السلطان الحفصي لم يقنع بتجديد ابي الحسن له على بونة التي كان واليا عليها في عهد والده قال : « واضطغن المولى الفضل من ذلك حقدا ، لما كان يرجوه من تبقيه له عن ملك آبائه ، ولحق وفادته وصهره ، واقام بمكان عمله منها يؤمل الكرة » .

89) دشم : جشم ، وكانت قبائل جشم مع قبائل بني مرين تؤلف الفقار العظمى لجيش الدولة والأساس الذي تقوم عليه ، وما ذكره الشاعر من تبرم هؤلاء بالسلطان نجده عند ابن خلدون اذ يقول : « وكان لبني مرين نفرة عن السلطان (ابي الحسن) وحذر من غائلته لجناياتهم بالتخاذل في المواقف والفرار عنه في الشدائد ، ولما كان يبعد بهم في الأسفار ويتجشم بهم المهالك ، فكانوا لذلك مجمعين على منابذته » . العبر 7 : 594 . وبمناسبة عبارة « عظم الدولة » تشير الى ما انتقده ابن زكري في كتابه « الفوائد المتبعة » من قولهم : « اهـل البيوتـات » و « اهـل الاصول » و « العظم الكبير » (مخطوط الفوائد المتبعة) .

168 — ما عظْم رجلتك ولا شكْـرا
ويراهـا مـن سقـارة الصبيـان (90)

168م — هتكنا قالوا بكثْرة الرَّحْلات
لبْـلاد الحـر والغـلا والجـوع

169 — ورواتبْنا علْـى سبو أو ردات
كـرواتببْنا بقابـس المْقطـوع

170 — ويريد عاد يفتتـح بنا رمْدات
عاد الاصْغر وكنزها المجمـوع (91)

* * *

171 — أما العربان مسامر السْحرا
ما يحكـى همنـا معـم بلســان

172 — قوما اجهل من جمالم الصْفرا
يطلب في الزكا وفي أمر هـان (92)

173 — راس مولانا كبير زعيم عالـي
مـا يفـزع مـن سبـع ولا تنَيـن

90) الشعراء : الغابة ، واخذ الأسد بقبضة اليد هو الغاية في الجراة والشجاعة ، وفي الامثال العربية : أجرا من خاصي الاسد ، وانظر في صيد الأسد على عهد بني مرين وصف افريقيا للوزان ، ولا شكرا = ولا شكرها ، و السقارة : المساقرة .

91) الرواتب جمع راتب ، وهو المرتب والاجر ، وسبو : النهر المعروف ، وقد تقدم ذكره ، وردات : نهر ينبع من جبل كانت توجد باعلاه مدينة كرت ، وما يزال معروفا بهذا الاسم ، وهو من روافد سبو ، وقابس هي قاعدة الجريد التونسي ، ورمدات عاد : هي ارم ذات العماد التي ورد ذكرها في سورة الفجر ، وتكلم بعض المفسرين عن عجائبها ، وانما ذكر الشاعر سبو وردات لأن أزغار او الغرب كان مقر نخبة الجيش من الخلط في عصر بني مرين .

92) السحرا = الصحراء ، معم = معهم ، جمالم = جمالهم ، وقد استعمل التشبيه نفسه في حق هؤلاء ابن الحاج في فيض العباب (201) واصله من الاية الكريمة : ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا .

والصفراء كتبت في الاصل بالسين ، ومثلها في ذلك الصحراء .

174 - والسلطان الجسور على بالي
لو ريتم ركبتو نهار صفين (93)

175 - جالس في السرج كالفتى السالي(94)
والابطال حوله شمال ويمين

* * *

176 - لو قام في واد بجايه الغرا
من ثم كان يزيد فملك شان

177 - الا طوى البيد وطول السفرا
ورمى الناس في حلاقم التعبان

178 - انظر هذا النفانف الأربع
كف عمت جيشنا ولى سافي (95)

179 - ما طلع فيها قلب خالص المنبع
غير واحد من منيا استقى الصافي (96)

---

93) لعله يلمح بعلي وهو اسم السلطان وصفين الى الامام علي ووقعة صفين المشهورة ، وفي الطرة : لو ريتو في ركبتو .

94) كالفتى السالي اي كالعريس ، ومنها اسلان واسلي في البربرية ، ورواية الشطر الثاني في الطرة : والابطال تسبقه شمال ويمين .

95) يصف الرياح السافيات التي تثير من الغبار ما يعمي العيون ، والنفانف الرياح والأهوية ، وفي الأصل : الرفايف ، وقد تكون الزفايف بالزاي .

96) قلب = قليب ، وهو البئر ، وبودبا الطافي معناها الجراد المنتشر ، وقد وصف الوزان سهل القيروان - حيث جرت المعركة التي يتحدث عنها الشاعر - بأنه رملي قاحل لا تنبت فيه اشجار ولا حبوب ، وذكر انه لا يوجد في القيروان عين ولا ماء بئر عذب ، ووصف المطافي او الخزانات بانها تمتلىء عند نزول الامطار وتجف في الصيف . وصف افريقيا 2 : 90) .

180 - وكذاك جاب بذا الجيوش وطلع
يلقى بيها بودبا الطافي

* * *

181 - حياة قط ما رات قطرا
تلقاها في ترابها العطشان

182 - خيل ربات في آزغار وتايسرا
وسبو المستقى مع خولان (97)

183 - ونقول لك ما جعل الأمير مقهور
ورماه في يد عابدين الاصنام

184 - كان مولاي بوعمر قديم ماسور
عند الرومي وسرحوا انعام (98)

185 - قال السلطان يقام لذا الشنيور 99)
بهدية من ذخاير الاسلام

* * *

---

97) آزغار : كلمة بربرية معناها السهل ، وتطلق بالخصوص على سهل الغرب ، وسبو هو النهر الذي يسقي هذه المنطقة ، وخولان : مرعى ومستقى على نهر سبو بالقرب من فاس وفيه الحمة المعروفة ، وتايسرا (أوتيسرة) هي مدينة وليلي ، جاء في الاستقصا نقلا عن النوفلي عند ذكر وليلي ما يلي : « وكانت مدينة رومية قديمة بطرف جبل زرهون في الغرب منه ، وتسمى الآن تيسرة » ، وما يزال موقع باب تيسرة معروفا في اول الطريق المؤدية من سيدي قاسم الى مكناس وزرهون .

98) بوعمر : هو ابو عمر تاشفين ولد السلطان أبي الحسن ، أسره القشتاليون في واقعة طريف .

99) الشنيور : senor ومعناها السيد وترد هكذا في نصوص عربية اخرى .

186 — نـجـمـع فيهـا امور نـحـتـكـرا
ما هـداها قبلنا ولا شـروان (100)

187 — ونجوزها قال لعدوة الكفرا (101)
مـع قياد والموحدين شيخـان

188 — قام فيها الشيخ بن تافراجين
والشيخ بن خالد الفلك الأطلس (102)

189 — قالوا ما خصنا من التنين
غير ننفوا للمغلف الأغبس (103)

190 — أوه ما بقى الزمان لشيخ مرين
غير اشياخ الموحدين بتونس (104)

* * *

100) شروان : نطق عامي لانو شروان كسرى . وقد عرف السلطان ابو الحسن بهداياه الفخمة الى معاصريه من الملوك . انظر المسند : 452 . والتعريف : 137 والعبر 7 : 551 — 555 والسلوك للمقريزي 2/2 : 447 — 448 ونفح الطيب والاستقصا وورقات الاستاذ المنوني : 137 وما بعدها . ولعل هذه الهدية التي اشار اليها الشاعر هي التي يقول فيها ابن مرزوق : « وهديته للهو نشو ملك قشتاله معروفة » .

انظر المسند الصحيح الحسن : 452 — 454 .

ونحتكرا = نحتكرها اي لا تكون الا عندنا .

101) اي لعدوة الكفرة يعني قشتالة في عدوة الاندلس .

102) الشيخ ابن تافراجين هو الحاجب المعروف . وقد تقدم ذكره . والشيخ ابن خالد لعله الامير ابو عبد الله محمد بن خالد الحفصي الذي اطلقه ابو الحسن من معتقله في قسنطينة واصطحبه الى تونس . والفلك الأطلس : كناية عن الدهاء والمكر . (انظر دوزي 2 : 53) ويبدو ان في النص تحريفا وان المقصود هو الشيخ عبد الواحد اللحياني فهو الذي اوعز الى السلطان ابي الحسن بالقبض على اشياخ العرب . انظر العبر 7 : 570 . 571 .

103) التنين : يعنون به السلطان ابا الحسن . والمغلف : الذي لم يختتن . ويقصدون به ملك قشتالة النصراني .

190م) — قالو هات من غزوك السمرا
دهري من مغربات ساسان (104)

191 — قالو ماريت لك في ذا العسرا
الا ان كان فتنتو مع العربان (105)

192 — الاشياخ في البساط كما هنات (106)
في ابن السلطان وجاءت ان تخرج

193 — مسرورين بالذهب وبالكسوات
الا والشيخ قالها بلج (107)

104) يفهم من رواية الشاعر ان السلطان ابا الحسن اراد ان يتخلص من الشيخين المذكورين بتعيينهما في وفد السفارة الموجهة الى ملك قشتالة ولكنهما شعرا بقصد السلطان ونيته ففكرا في التآمر على النحو الذي يذكره الشاعر بعد هذا : وقد تحدث ابن خلدون عن سفارة الى قشتالة قام بها ابن مرزوق مبعوثا من السلطان ابي الحسن . قال : « ثم سفر عنه . بعد ان ملك افريقية الى ابن ادفونش ملك قشتالة في تقرير الصلح واستنقاذ ابنه ابي عمر تاشفين . كان أسر يوم طريف فغاب في تلك السفارة عن واقعة القيروان » . التعريف : 50 . ويبدو ان ما اشار اليه الشاعر يتعلق بسفارة اخرى قد يكون السلطان فكر في توجيهها لما بلغه الخبر بتسريح ولده المذكور ثم عدل عنها بسبب نشوب فتنة الاعراب . او تكون هي نفسها كلف بها ابن مرزوق في الأخير .

105) هذا حوار بين ابن تافراجين وابن خالد . قال احدهما للآخر : فكر في حيلة من الحيل الساسانية تكون سببا في الفتنة . فاجابه : لا سبيل الى التخلص من أبي الحسن الا بالايقاع بينه وبين العربان . ونفهم هذا التآمر في ضوء ما ذكره ابن خلدون . قال : « كان الشيخ ابو محمد بن تافراجين ايام حجابته للسلطان ابي بكر مستبدا بامره مفوضا اليه في سائر شؤونه . فلما استوزره السلطان ابو الحسن لم يجره على مألوفه لما كان قائما على أمره . وليس التفويض للوزراء من شأنه . وكان يظن ان السلطان أبا الحسن سيكل اليه امر افريقية وينصب معه الفضل للملك . وربما زعموا انه عاهده على ذلك فكان في قلبه من الدولة مرض . وكان العرب يفاوضونه بذات صدورهم من الخلاف والاجلاب » العبر 6 : 818 .

وقد ورد الشطر الاول في الاصل هكذا : قالو ما ريت لو في ذا العشرا .

106) الاشياخ اي شيوخ القبائل العربية . ولعل تهنئتهم التي يذكرها الشاعر كانت ببشرى تسريح ابي عمر من الاسر ووصوله الى بجاية وحين وصل الى قسنطينة . وقعت حادثة القيروان . وضرب الحصار عليها . وعلى تونس . فاضطر مع وفود اخرى الى البقاء في قسنطينة . وفي العبر أن تهنئة الاشياخ المذكورين كانت بمناسبة عيد الفطر . العبر 6 : 816 والمسند : 407 . وكلمة البساط معناها هنا مجلس السلطان .

107) بلج : أغلق الباب ، والبلج : المغلاق . كما في تقويم اللسان لابن هشام السبتي (راجع : الفاظ مغربية للاستاذ الاهواني) . وما تزال الكلمة مسموعة في بني يازغة ونواحي صفرو حيث نشأ الشاعر .

195 — قال ان خذت ذا العتا آصافات
دولـَـة سـَعـْـدك بلاَ كدر ممـْـزوج

• • •

196 — خذ صيدك حين حصل في ذا المدرا
جرّ الشبكة وكتـّف الورشـــان (108)

197 — قالو الحر كيف يرتضي الغدرا
قالو الغدر من الملوك رجحـان (109)

198 — فـَخـْذ عـَشـْرة وطار من القبضا
طـَيـّر فتاتـه وخـرق الـدارات (110)

199 — وجـرت ثـم مقدمـا ايـْضـا
بشريف من العـرب عمـل زلات (111)

---

108) العتا = العتاة ، وفي الاصل : الفتى ، واصافات : صفت ، والمدرا هي هنا عبارة عن عصا طويلة في رأسها شبكة لاصطياد الطيور . (انظر وصف افريقيا للوزان 1 : 259) والورشان هو اليمام .

109) هذه الحادثة التي ذكرها الشاعر وقعت في تونس ، بعد عودة ابي الحسن من زيارته لمعالم افريقية ، وقبيل واقعة القيروان ، وقد فصلها ابن خلدون ، وملخصها أن اشياخ العرب وفدوا على السلطان بتونس ، بعد قفوله من المهدية لتهنئته بعيد الفطر فانزلهم واكرمهم ، وقبل خروجهم من القصر بلغ عبد الواحد اللحياني السلطان أن الاشياخ المذكورين طلبوه في الخروج معهم لينصبوه ملكا على افريقية ، وفي الحين قام حاجب السلطان ابن امصمود بسحبهم الى السجن . العبر 6 : 816 ، 7 : 570 — 571 . اما الحوار الذي ذكره الشاعر في هذا الخبر فنجد ما يؤكده في اخبار اخرى تتعلق بوفاء السلطان بالعهد وامتناعه عن الغدر ، انظر المسند : 334 — 330 .

110) فتاتة او فتيتة (ويحرف الى قتيبة) هو ابو الليل فتاتة بن حمزة ، شيخ الكعوب ، وموقد الفتنة الذي نجا من الأسر ، والدارات : جمع دارة ، وهي الارض السهلة في الرمال ومنها دارات جزيرة العرب ، وخرق الدارات أي طاف بها لتحريض البدو .

111) يقصد الشاعر بالمقدمة التي كانت من اسباب الفتنة ، ما وقع بعد القضاء على عمر الحفصي ، من تنفيذ حكم الشرع في المحاربين من اتباعه ، وكان في جملة من قطعت ايديهم وارجلهم من خلاف صخر بن موسى امير قبيلة سدويكس التي تدعي الانتساب الى سليم ، ولعله هو الذي يعنيه الشاعر . العبر 6 : 306 ، 824 .

200 — وقطـع يـدو ورجلـو ومـْضـا
بالمقطوعات يطوف على الحلات (112)

• • •

201 — ثـَقـَفـم في عنق زوجتو وسـّـرا
يداخـِل مـِن هـِلال الـى ذبـْيـَـان

202 — ثـَيـْدَ بالعـْرب مـَسـْتم نـَعـْـرا
ودوات من بـَسـْكـَـرا لجـَبـَلَ الـزان

203 — ومسايل اخرى طلع بها الناغـوص
فـَعـْمـَت الابـْصـار وكـَثـْرت الحقـّـاد

204 — قالوا بعث الأمير لاهل الخوص
في زكـاة الـْبـَل بالشـْرع توخـّـاد

205 — من دباب والكعوب على المتصوص
ورسـَل فيها السـّعاة مع الاجناد (113)

• • •

---

112) يذكر ابن خلدون أن خبر اعتقال شيوخ القبائل العربية بلغ الى احيائهم ، فانطلقوا يحزبون الاحزاب ، ويلتمسون للملك الاعياص . قال : « فركب اليهم فتيتة ابن حمزة وأمه ، ومعهما ظواعن ابنائهما متذممين لأولاد مهلهل بالعصبية والقرابة ، فاجابوهم واجتمعوا بقسطيلة » ثم نصبوا على امرهم احمد حفيد ابي دبوس آخر خلفاء الموحدين . انظر العبر 6 : 817 — 818 . وترجمة هذا الأمير الخياط في الدرر الكامنة 1 : 211 .

113) لا يذكر المؤرخون أن ابا الحسن طالب الاعراب بالزكاة ، وانما يذكرون انه قضى على اقطاعاتهم في المدن واتاواتهم التي كانوا يفرضونها على الرعية من البدو . العبر 7 : 509 . وثقفم = ثقفهم ، زوجتو = زوجته ، يعني زوجة المقطوع يده ، لعل اصلها : حتى اذا ، او هي تحريف فيد = فاذا ، مستم = مستهم ودوات : وتفادي ، الناغوص : المشوش ، واهل الخوص : اهل النخيل ، وهم الاعراب ، والبل = الابل

206 — فتلاطت العرب وزاد امرا
حتى قالوا عجب لذا الانسان
207 — ما راد يخلف دنانير الصفرا
غير منا في الزكا وفي امر هان
108 — نحن هنا من زمان عمر وعلي
وكثرنا من سلالة الصحبا
209 — ودركنا عبد المومن بن علي
وملكها من سلا لارض سبا
210 — ما فخر قط بنوق ولا بزلي
من دباب والكعوب مع زغبا

• • •

211 — قال لهم تالله وتمنعو وبرا
لغزيتكم الا بحجة الفرقان
112 — قالوا انكنت ابنفاطمة الزهرا (114)
القرشي عد واقبض الاثمان
213 — وخرج لهم بو لحسن على عسكر
في ثمانين خيل مقداما (115)

113م) فتلاطت اي جهلت وجنت ، امرا = امرها ، وارض سبا هي اليمن ، ولم يملكها عبد المومن ، وانما اتى بها الشاعر للقافية والمبالغة ، والبزل : الابل في اكتمال سنها ، زغبا = زغبة .

114)) انظر في نسب بني مرين : روض القرطاس والعبر والمسند : 107 — 110 وفيه نسب مرفوع الى الحسين بن علي بن ابي طالب .

115) في ثمانين : هكذا في الاصل ويبدو انها محرفة عن ثلاثين ، ففي الفارسية : 170 « وكان جيشها (اي جيش المحلة) يزيد على ثلاثين الف راس » او انها من مبالغات الشاعر .

214 — وتقدم في المقدمة الناصر
والعسري ليثها وقمقاما (116)
215 — جاز القروان بيوم وقيل اكثر
واعترض لهم نهر يقطع القاما

• • •

216 — والطين به قد بلغ الى الثغرا
قطع العوام وثقف الخوضان (117)
217 — والواد بينم برك ولا الزبرا (118)
والعربان اقبلت ولا الغربان
218 — اقتتلو القوم فوق ذاك الواد
عربان والروم وغز وزناتا
219 — وبن اخلفي عمل ولا المقداد
وقصد في الخيل قصد لفتاتا (119)

116) الناصر ولد السلطان ابي الحسن ، قال فيه ابن مرزوق : « الامير الصالح التقي ابو علي الناصر » رافق والده في حركته الى افريقية ، وكان معه في واقعة القيروان ، واشترك في الاحداث التي تلتها الى ان سقط في معركة سد بونه بسيط شلف سنة 751 هـ ، انظر العبر 7 : 144 ، 588 ، 592 والمسند لابن مرزوق ، اما العسري فهو ابو معروف محمد بن يحياتن ، وقد تقدم ذكره ، وقمقاما = وقمقامها ، والقمقام : السيد .

117) الثغرا = الثغر ، ويقصد الفم ، ولعل الشاعر يتحدث عن هذه المنطقة التي توجد بها المستنقعات ، وهي تقع من القيروان في حدود المسافة التي يقدرها الشاعر والخوضان : الذي يعوض في النهر ولا يحسن العوم .

118) بينم = بينهم ، والزبرا = الزبرة ، وهي كتلة الحديد ، ولعله يشير الى السد وزبر الحديد الواردين في سورة الكهف : فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا . قال آتوني زبر الحديد » ، وبرك (او وفرك) : حال بينهم .

وعربان الثانية هكذا وردت في صلب المتن ، وفي الطرة : اعرب .

119) ابن اخلفي : لعله من قادة الجيش المريني ، ولم نقف له على ذكر ، والمقداد هو المقداد الاسود الصحابي الفارس المشهور ، وفتاته هو ابو الليل ابن حمزة ، وقد تقدم ذكره .

220 – طعنوا طعنة ولا انقضى الميعاد
والعربـان تـكْنفـو بـرايـاتـا (120)

• • •

221 – وانهزموا وحرفوا الخيمات لورا
يحامـوا بالسيف عن تيسدنـان (121)

222 – ما تشـهَيك غير براقـع العـذرا
كـف تسقط مع عمايـم الفرسان (122)

223 – قالوا لـو تـبَعهم في ذاك الـيوم
ما كان يترك نجيب يجر نجيب (123)

224 – نزل القـروان بجيشه المركـوم
ودحا العسري (124) ورا العربي كالذيب

225 – فاذا لـحقم وحـرْكم تقـــــوم
وتـحْمى النار بين شاشـية وقـْطيب (125)

• • •

120) تكنفو = تكنفه أي تحيط به ، براياتا = براياتها .

121) تيسدنان : النساء في لسان زناته .

122) كف : حين ، وسقوط البراقع والعمائم كناية عن الالتحام .

123) النجيب الاول : الرجل الحسيب ، والنجيب الثاني البعير الخفيف السريع

124) ودحا = وضحا اي واضحى ، والعسري تقدم ذكره .

125) لحقم = لحقهم ، وحركم = وحركهم ، والشاشية معروفة يضعها الرجل على راسه ، والقطيب : ثوب معين تغطي به المراة شعر راسها والكلمة مسموعـة في البوادي المغربية ، وفي وصف جند ابي الحسن ما يفيد انهم كانوا يلبسون الشواشي ؛ والمقصود هنا وصف احتداد العراك واشتداد الالتحام حتى اختلط رجال الجند بنساء الاعراب اللائي كن يحرضن رجالهم على الصمود .

تقوم وتحمى : في الاصل : وتقوم وحما .

226 – صاحـت في هـَوادجا بنات عـَذرا
يا لـهـلال يا لـكـوكـبـة غسـّـــان

227 – وترى العربي يعض في الظفرا (126)
ويقول لـبـيـْك يـاقضيب الـبـّـــان

228 – ما زال حتى كـسـْر م ثلاث مرات
لاكـن اذا بلـغ القـِباب ردُّوه (127)

229 – والكـسـْر الرابـْعة عليه جـْرت
وفـْديـك الرابعـة العرب عـجْنـوه

230 – تيد بالناصـر اشهر الـرايات
وحـلـف باللازِم (128) وشـيبـت بـوه

• • •

231 – لا ولى لهم ظـْهر ولا فـــــرا
لو تلْقـح في الرُمان أعـواد الزان (129)

232 – وفعل فعل الأسـد اذا هـــرا
عِـنْدَ اللبـْو ه وكـَشـّط الأسـْنــان

126) في هوادجا = في هوادجها ، ويعض في الظفرا : لعل معناه انه يعض أناملـه من الغيظ .

ياقضيب البان : في الطرة : ياغصون البان .

127) وحلف باللازم اي بالايمان اللازمة ، وعجنوه غير واضحة في الاصل ، لعلها قاذا ، وسبق ذكرها .

128) وحلف باللازم اي بالايمان اللازمة .

129) الزان شجر معروف ، ولا يكون بينه وبين الرمان تلقيح او تركيب ، ولعل معنى الكلام انه اقسم ان لا يولوهم ظهره ولو حصل ذلك ، وفرا ، والرمان ، غير واضحتين في الاصل .

233 – قاسى الناصر وخاه حروب داحس (130)

لولا الـياقوت صبْرو كثيـر لِـلنار (131)

234 – تنظر للقوس عطلو الفــــارس

بعد ان كان مثل بودبـا الطيار (132)

235 – ورشاش الدّم في الوغى الداحس

ينْضح في هوادَج الحور الأبْكــار

* * *

236 – وعجوزَ الحَي تَفسخ الظفرا

ومــرت بنْــا تسبل انــزران (133)

237 – وتقول لا أنظر من البجات نظْرا

وحيّا الْعرام وشَد كل جبّــان (134)

238 – مدّو القطعان وشرعو الرّايات

وزناتة عاكْفين على التعْريف (135)

---

130) اي قاسى الناصر واخوه ابو الفضل حروبا كحروب داحس والغبــراء المعروفة .

131) الياقوت لا تكلسه النار ويظل على حاله كما قيل .

وطالما اصلي الياقوت جمر غضى   ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت

والمقصود ان معدن الولدين كريم وصمودهما في المواقف عظيم .

132) هذا كناية عن الالتحام في المعركة ، والقوس يبدو من الكلام انه قوس الرجل ، وبودبا الطيار هو الجراد فيما يبدو .

133) لعله يقصد بعجوز الحي ام فتاتة امير البدو ، ومرت بنا اي امرأة ابنها فتاتة ، وتسبل انزران اي ترسل دموعها كالامطار التي هي انزران بالبربرية ، وفي الاصل مرت بقتا ، وامزران ، ولعل الصواب ما اثبتنا .

234) البجات = البوجات ، وهي الهوادج ، والعرام : الشجاع .

135) القطعان : النصال ، وفي الاصل : القطعات ، والتعريف : تعيين المصاف وقد تكون : التحريف اي الانحراف والانصراف عن القتال .

239 – اذا هزوا اللمط (136) في الوغى ودوات

غـرد فيها الـوتـر وغـنّى السـيّــف

240 – والنّاصر ردها اذا هي جـات

اذا هزم ذا الريف يرجع عليه ذا الريف (137)

* * *

241 – سمعَ السّلطان بمحنتو وجرْا

وقَــلــع بمَحـلــة على الأركــــان

242 – أبو الفضل (138) أحبيبي وي صبرا

لمّـن عــايـن وشــاهـد البـرهـان

---

136) اللمط اي الدرق اللمطية ، وهي تصنع من جلد حيوان يدعى اللمط ، وتمتاز الدرقة المصنوعة منه بالصلابة بحيث لا يؤثر فيها شيء كما يقول الوزان في وصف افريقيا ، والوتر : وتر القوس .

137) الريف : الجانب والجهة .

138) ابو الفضل محمد من اولاد ابي الحسن المريني ، كان اسن من اخيه ابي عنان (بغية الرواد 1 : 152) كان مع والده في حركته الى افريقية ، وشهد واقعة القيروان ، ولما رجع ابو الحسن الى المغرب ، تركه خليفة له في تونس ، بعد ان زوجه ببنت عمر ابن حمزة شيخ الكعوب ، ثم رجع الى المغرب ، وكان مع والده الى ان مات بهنتاتة ، فقدم هو واخوه ابو سالم على اخيهما السلطان ابي عنان ، فوجههما للجهاد بالاندلس ثم شاء الله ان يخرج ابو الفضل على اخيه ابي عنان ويقتل في ظروف مؤسفة ، انظر العبر والاستقصا والاحاطة .

وابو الفضل محمد والناصر وابو سالم ابراهيم هم اولاد ابي الحسن الذين كانوا الى جانبه في محنته ، وثمة « ابن صغير من ابناء السلطان عقد له على عسكر من اهل المغرب واوعز اليه باللحاق بتونس ، وهذا هو عبد الحق الذي خلفه والده بمدينة الجزائر واليا عليها بعد ما توجه الى المغرب ، ثم اضطر الى تركها واللحاق بالاندلس ، وظل بها ، الى ان استدعاه اخوه ملك المغرب ، فانصرف عن رضى منه ولم ينشب ان هلك مقتولا في جملة من ارداهم الترشيح » ، العبر 7 : 576 والاحاطة 3 : 534 – 535 .

وي صبرا ، هكذا في المتن ، وفي الطرة : راي حسرا .

243 – قام بالثقلا وجا عنان زراب
ونزل بمحلة على المنصف

244 – تلقاه الصافنات بلا ركاب
صرعوا أصحابها بقدر ما تطرف (139)

245 – فالبوق وامر افراج يضرب (140)
وعليه قد المْيات طبل تقصف

* * *

246 – واطواد الخيل تضبط الوزرا
وتميز كل طايفا في مكان

247 – وغمام النبل فج كالمطرا
والعربان اقبلت من الضفان (141)

248 – وكانت ذا الواقعة في ذا الحجا
فثمنى واربعين وسبع ميا

249 – عيدنا يوم الاربعا البهجا
وفي يوم الاثنين شابت اللحيا (142)

---

139) الصافنات : الخيل ، صرعوا اصحابا اي صرع اصحابها ، وبقدر ما تطرف هكذا في الاصل ، ولعل المعنى : بقدر ما تراه العين .

140) فالبوق = في البوق ، وفي الاصل : فالسوق ، وامر = امر ، وافراج = افراق وهو الفسطاط ، وقد مر شرحه وذكره ، وقد : قدر .

141) فج = في وجهه ، والضفان : هكذا وردت في الاصل ، والمقصود الجهات .

142) يقول ابن خلدون : « ولما قضى منسك الأضحى ، من سنة ثمان واربعين ارتحل من ساحة تونس يريدهم ، وانجلت المعارك عن خيانة كبرى ، ونجا السلطان الى القيروان فدخلها في الفل من عساكره من المحرم من فاتح تسع واربعين ، العبر 7 : 373 اما التاريخ الذي يذكره أخوه يحيى فهو ، يوم الاثنين سابع محرم سنة تسع واربعين وسبعمائة ، بغية الرواد 2 : 145 .

250 – ما تدري من بنت على الحجا
لا العربيا ولا المرينيا

* * *

251 – وسليم جابو دبا على الحضرا
وندا السلطان بقول فلان وفلان (143)

252 – وخرج لم دشم على دورا
ما يطفي نار مضر سوى قحطان (144)

253 – بارزت عرب أزغار وتامسنا
مع سكان تادلا وايمجاطين (145)

254 – والصحراوي ومن حضر معنا
من سكان ملوية السويديين (146)

255 – خلت ثم مع الكعوب عجنا
هولا غربا وذوك بلديين

* * *

---

143) وسليم اي قبائل سليم ، ودبا : جراد ، والحضرة : يقصد القيروان ، وجابو دبا اي اقبلوا كالجراد ، وندا = نادى .

144) لم : لهم ، دشم = جشم ، وكان الشاعر اعتبرها قحطانية ، ومن المعروف انها مضرية ، وعلى دورا اي بدورها ، ومعنى الشطر الثاني انه لا يفل الحديد الا الحديد .

145) ازغار هو البسيط المعروف اليوم بالغرب ، وعرب ازغار هم قبائل رياح ، وتامسنا كانت تطلق على ما بين ام الربيع وابي رقراق ، وعرب تامسنا هم بنو جشم (العبر والاستقصا 2 : 199) ، وتادلة اقليم يقع بين وادي العبيد ووادي أم الربيع مع النهر المحاذي لجبال الاطلس (وصف افريقيا للوزان) ، والمجاطيون : من سكان اقليم تادلا ، وايمجاطين صيغة بربرية ، وفي الأصل : وتيمجيطين .

146) كان عرب سويد من زغبة يسكنون في نواحي ملوية ، وكان شيخهم عريف مقربا من السلطان أبي الحسن (انظر العبر والمسند) .
والصحراوي : رسمت في الاصل بالسين هكذا : والسحراوي .

256 – اش مقدار ما نطول الهدرا (147)
دفع السلطان وضفت الويدان

257 – فدوت بنداه ومدت الكسرا
حتى بلغت كتائب الكثبان

258 – جرت بها العرب الى فيفا
ما قط ابتل تربها بمطر

259 – مملو بالعرب على الضفا
مخلوق مشتق من حديد وحجر

260 – أو كانوا بني مرين ورا الدفا
مع ياجوج خلف سد الاسكندر (147م)

* * *

261 – ثم خان كل من دفن شعرا
في قلبو من عداوة السلطان (148)

---

147) الهدرا : الكلام ، وضفت (بتشديد الفاء في الاصل) لعل اصلها ودفقت ، والكسرا = الهزيمة ، والدفا = الدفة اي الباب ، ياجوج وماجوج معروفون ، واطلقهم الشاعر على البدو لكثرتهم .

147) الدفا : دفة الباب ، ولعل المراد ان بني مرين كانوا يواجهون عددا كبيرا من البدو شبهه بياجوج وماجوج في الكثرة ، وشبهه بالجراد في مواضع اخرى .

148) يقول الشاعر هنا ان البدو هزموا ولاذوا بالفرار ، فتبعهم جيش ابي الحسن ، وكأنه تمنى ان لو لم يلحقوا بهم في الرمال ، وتركوا سدا بينهم وبين البدو ، وبينما الموقف هكذا لصالح ابي الحسن وقعت خيانة بني عبد الواد التي دافع عنها خديمهم يحيى ابن خلدون قال : « ولما تراءى الجمعان بظاهر القيروان يوم الاثنين سابع محرم سنة تسع وأربعين وسبعمائة امكنت بني عبد الواد الفرصة في عدوهم فما اقلتوها ... فانتبذوا عن آخرهم ، مظللين بازوقة أعلامهم ، مردفين بالذين في قلوبهم مرض من عساكر المغرب ، وانحازوا الى العرب ، وقد كانوا يهزمون » بغية الرواد 2 : 145 . وانظر العبر .

262 – غدرت تونس واظهرت مكرا (149)
حتى الحاج الصقي السويدي خان (150)

263 – غدرت تونس ونافقت في الحين
وارتدت بعدها السويديا

264 – وجيوش الغرب عن شمال ويمين
لف الراية وزج بوريا (151)

265 – حتى من كان حقيقي تجده يعين
بن بوزكري وقلب العصا حيا (152)

* * *

266 – هذا وكثر بني مرين فقرا
فرس مهزول وصاحب جيعان

---

149) لما بلغ خبر محاصرة السلطان بالقيروان الى تونس تحصن اولياؤه في القصبة ، وحاصرهم فيها ابن تافراجين الذي انسل من القيروان مع البدو وصنيعتهم ابن ابي دبوس « وزعانف الغوغاء » حسب عبارة ابن خلدون ولكنهم « لم يغنوا فيها غناء » كما يقول . العبر 7 : 573 – 574 .

150) لعل الشاعر يعبر هنا عن راي شخصي او حزبي ان صح التعبير ، فالمعروف ان الحاج عريف ظل مع وليه ابي الحسن في حصار القيروان ، وبعده في تونس ، الى ان وجهه مع ولده الناصر الى المغرب الاوسط ، « لارتجاع ملكهم ومحو آثار الخوارج من اعمالهم » ولما فشلت الحملة ، خلص عريف بن يحيى الى قومه سويد ثم قطع القفر الى المغرب الاقصى ولحق بالامير ابي عنان ، ومن هنا انقطعت صلته بابي الحسن ، الى ان توفي بعده ، ودفن حيث طلب الى جانب خليله المولى ابي الحسن سنة خمس وخمسين ، العبر 7 : 599 والمسند : 367 – 368 .

151) بورية : لعله الطبل ، وزجه اي خرقه وثقبه بالزج .

152) بن بوزكري : يعني ابا سعيد بن ابي زكرياء بن يغمراس الذي جر هو واخوه واهلهما الهزيمة على ابي الحسن ، واشتركوا مع البدو في محاصرة القيروان وتونس ، انظر العبر وبغية الرواد ، ورواية البيت في الاصل :

حتى من كان حقق تجده عين   بن زكري قلب العصا حيا

267 — قل لي الصح من ينوح ومن يقرا

فَوق ذا الـمَيّت ومن يسوق الأكفان

268 — قـوى الشـرّ في محـلـّة الرّومي

لـيْث الغابة يَـصطـحب مع الثّعبـان

269 — ورجع من كان معو الـو يرمي

لوجه السّلطان ويقصد الـعيْنـان

270 — حتى ما حمي الأمير سوى الرومي

وما حفت من بني مرين أعيـان (153)

• • •

271 — المقصود مالت الصّنج الأخرى

والقنطار ما يقوم بثـلث أوزان (154)

272 — أما تـعـمـل جـهـالـة الأمـــرا

والرّجـلـه اليابـســه من الحـرمـان

---

153) رجع الشاعر للكلام على معركة القيروان ، وهو يأتي هنا بأخبار أغفلتها الحوليات ، وتتعلق بدور الفرقة الاجنبية في تغطية انسحاب أبي الحسن الى القيروان ، ونشير هنا الى أن الدول القديمة عرفت استخدام العناصر الأجنبية في الجيش ، كان شيء من هذا عند بعض المرابطين والموحدين والمرينيين والحفصيين وبني عبد الواد ، وكانوا يستخدمون لأغراض عسكرية معينه ، ولا يستعملون في حروب المسيحيين او حركات الجهاد ، وقد تحدث ابن مرزوق وابن خلدون والعمري عن فرقة الروم على عهد أبي الحسن ، وذكر العمري انهم كانوا يركبون خاصة خلف ظهر الملك ، ورقات الأستاذ المنوني : 71 ، 291 ، والمسند : 282 .

154) الصنج = الصفحة ، وهي كفة الميزان ، والشطر الأخير يشبه ان يكون مثلا من أمثال العامة .

273 — لو شاهدت الأمير يقَل هو اليوم

كـذَب الشيطان ولا وجـد ثـاني (155)

274 — حتّى ما حـماه سوى بنيه والروم

عـقـدْ خلـف بالـْف نـصْرانـــي

275 — بعد ان راو عز الذهب وحشوم

وحلَف لـو قايـدوم بأيمانـــي (155م)

• • •

276 — ما تمشي غير على هواك جهرا

حتـى تـدخـل مديـنـة القِـيـروان

277 — اليوم تعرف مقام بنو الصفرا (156)

لـمَنْ فـرودك عِـصابـة الايمـان (156م)

278 — خاطب لبْني مرين لِسان الحال

بالله اسْـمـع كِـف خاطـب ايـت مـرين

---

155) لعل المعنى ان السلطان نجا في هذه المعركة بأعجوبة ، حتى لكأنه عاش بعد ان مات ، وقد ارجف الناس بموته فعلا بعد هذه المعركة .

وقوله : يقل هو اليوم اي يقال من عثرته ذلك اليوم ، وانظر في استعمال «هو» بمعنى « ذلك » كتابنا : امثال العوام 1 : 207 .

155م) خلف اي خلفه ، ولعل الصواب : حلق اي حلقة ، بمعنى ان الروم عقدوا او شكلوا حلقة او دائرة لحماية السلطان ، لو = له وفي الاصل : لو ، قايدم = قائدهم ، وفي الاصل : قايدح وعز الذهب : قد تكون : غزر الذهب ، وحشوم = حشم .

156) بنو الصفراء ، وبنو الأصفر ، هم الروم .

156م) لمن فردك = لما ان افردوك اي تركوك مفردا وحيدا

279 — قال لَم ما تَستَحيوا اذا يقال
اواه ولَد الشُدانِق السَمين (157)

280 — خليتم الحشَم وبيْت المَال
حتى ما حَماه سِوى الَعدو في الدين

• • •

281 — اثني عشر الف خيل مختْرا (158)
عدَيتْكم دون عرَب ودون وصَفان

282 — واثني عشَر الَف ما يقْم حَجْرا (؟)
قال الهادي سِوى مِن التَخذلان (159)

283 — بالله اسمع ما جرت به الأقلام
في مَنام في مَكانت التشْبيه

284 — كان قال لي شخص : ريتَها في مقام
ما نَذكر اسمه ولا نفشيه

285 — رايت بدر السما نزل برج حمام
حتى دخل طاق فِيه وسد عليه

• • •

157) ايت مرين : بنو مرين ، قال لم = قال لهم ، اواه : نصره ، الشدانق
الصقر ، ويبدو لي انها الشذانقي نسبة الى صاحب الشذانقات لذريق الذي فتح
الاندلس في وقته ، والمقصود طبعا قائد فرقة الروم الاسباني .

158) سبق للشاعر ان ذكر ان عدد بني مرين عند الخروج من تلمسان كان
ستة عشر الف . (راجع رقم 103) .

الهادي هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والاشارة الى حديث نبوي
في الموضوع .

286 — فابق مدة يقال في ذا الثغرا
تسمع لو حمحَم كصهل حِصان

287 — ان السلْطان في مدتو يجرا
ما لا يسَع لا سطور ولا ديوان (159م)

288 — لمَن راو السَبع دخل تاسا (160)
والامة كلها عليه ترمِي

289 — بذات الرقم تكشف اضراسا
للدغ وافردوه ذوي الرحمي

290 — والمصبحِي اذا انطفا راسا
دب في البيْت الأرقم السمي (161)

• • •

291 — غدرت تونس واشتهر مكرا
وقسمطينا الهَوا وفيها كان

159م) في هذه الابيات التي تتحدث عن الرؤيا تحريف شديد في الاصل .
لبرج حمام ، وردت في الاصل : بزحام ، والبيت الاخير ورد في الاصل هكذا :
ان السلطان مدنت تجرا   ما يسعم لا صدر ولا ديوان

160) تاسا : كلمة بربرية من معانيها الوسط اي وسط المكان والميدان ،
ولعل الشاعر شبه السلطان في ميدانمعركة القيروان بالسبع في ميدان الملعب واستوحى
التشبيه مما كان معروفا في عهد بني مرين ، (الوزان 1 : 294 ورقات الاستاذ المنوني :
34 — 35) .

161) الارقم : الحية ، والمصبحي = المصبحية = المصباحية اي المصباح
وفي الاصل : والصبحي ، دب ، في الاصل : دب ، راسا = راسها ، اضراسا =
اضراسها .

292 ــ تاشفين أدّي تنقد من الكفرا

وردوه المسلمين الى ما كان (102)

293 ــ قامت في كل قاعد القاعا

من طلاب الثار وفاقت الحيات (103)

194 ــ ابن النوار انكمش من القاعا

في بجايه وارتمى ورا الدفات (104)

285 ــ سرحان الوغد طاعت الطاعا

في مازونه يفرق الكسوات (105)

• • •

102) تسمى قسنطينة في كتب البلدان بقسنطينة الهواء ، وسميت بذلك لافراط علوها ، وشدة منعتها ، (الادريسي : 265 والمعجب : 349) أما ما يشير اليه الشاعر ، فهو ان اهل قسنطينة لما بلغهم خبر نكبة السلطان ابي الحسن اشرأبوا الى الثورة ، وكان فيها يومئذ وفد من زعماء قشتالة ، بعثهم ملكها لمصاحبة الأمير تاشفين والتهنئة بتملك افريقية ، ووفد من مالي قدم للتهنئة ايضا ، واحد اولاد السلطان على راس فرقة موجهة الى تونس ، وعمال المغرب القادمون بالجباية ، وقد لجا الجميع الى قصبة قسنطينة عند ما ثار اهلها ، ثم خرجوا منها الى بسكرة ، وظلوا بها الى ان خرج ابو الحسن من حصار القيروان الى تونس ، فوفدوا عليه بتونس في رجب 749 . انظر العبر 7 : 575 — . ومكرا = مكرها ، وادى : الذي .

103) قاعد = قاعدة اي مدينة كبيرة ، القاعا = القاعها اي اقاعيها .

104) هو محمد بن النوار والي ابي الحسن على بجاية ، ويشير الشاعر الى انه لم يدافع عن البلد ، وارتمى وراء الدفات اي خرج من ابواب المدينة وتركها لاتباع الحفصيين انظر العبر 7 : 559 — 500 . وراجع ما تقدم ذكره في الحاشية رقم 74 .

105) هو سرحان قاضي مازونة ، كان مقيما لدعوة السلطان ابي الحسن بها ، ثم سولت له نفسه الانتزاء ، فدعا لنفسه . انظر العبر 7 : 383 . ومعنى طاعت الطاعا : اطاعته الطاعة اي الرعية .

296 ــ وكان ابليس صرخ بذا الكسرا

ناقوس في البحر وكان رنان (166)

297 ــ وعلت منها المغاربه حقرا

لا غربي تفر عن أسنان (167)

298 ــ في القروان برحو على الضعفا

وامن هو للهبوط يقوم يهبط

299 ــ وترى الغربي يصل على الضفا

للعربية ولا تقل تقنط

300 ــ كيبقى عند شهر على الصفحا

فاذا رام الرحيل تقل كشط

• • •

301 ــ ما تسمع غير صوتها بكرا

يا عمران قم جرد الضيفان

166) الكسرا = الكسرة اي الهزيمة ، ويبدو ان الشاعر يلمح الى كارثة الاسطول المعلومة ، وسيشير اليها فيما بعد .

167) حقرا اي ذل وهوان ، والغربي = المغربي ، ومعنى الشطر الثاني ان اهل المغرب خلال الحادثة اضحوا وكان ليس فيهم رجل مجرب ، وفي خطبة للحجاج : لقد فررت عن ذكاء وتجربة ، وفي الامثال : عينه فراره اي منظره يغني عن ان تفر اسنانه وتخبره ، ويقال في كلامنا الدارج : فرني ... بصيغة الامر ، على سبيل التهكم .

302 – ما هي الرجلا تسَمن الجزرا
وتعمَّر جارتي بها جِفان (168)

★ 303 – دخل السلطان في يوم عاشورا
دار القروان ضعيف قليل المال (169)

304 – وبقى فيها وهي محسورا
سبعين ليله يقال وسبع ليال (170)

305 – والسلطان في الصحن على سورا
يرسل بالصالحين ولا يقبل (171)

• • •

306 – جالِس بين المدرسين يقرا
بين فنون المشايخ الخزان

---

168) يصف الشاعر في هذه الابيات حال فلول الجيش الذين رجعوا الى المغرب ، وما عانوه من نصب وسغب وسلب ، حتى تساقطوا الى ابي عنان في تلمسان « عراة زرافات ووحدانا » كما يقول ابن خلدون . العبر 7 : 578 وانظر الفارسية : 170 ، ويرحو : نادوا ، والغربي = من اهل الغرب اي المغرب الاقصى . والضفا : لعلها ضفة الوادي او نحوه حيث خيام البدو ، وعند = عندها ، والصحفا = الصحفة ، وكشطه : سلبه ثيابه وجرده منها .

والجزرا = الجزرة وهي الشاة ، ومعنى البيت الاخير غامض ولعله اشارة الى مثل او حكاية . والبريح او النداء المشار اليه تكرر في حركة ابي عنان حسبما في « الفارسية » فقد ذكر ابن قنفذ انه « ارتحل من قسنطينة مغربا غير مختار لنداء كل من في محلته بقولهم : « الغرب الغرب ! » .

* من هنا تبدأ مخالفتنا للترتيب الموجود في الاصل . وذلك الى رقم وقد ذهبنا الى هذه المخالفة بناء على سياق القصيدة .

169) عاشوراء : عاشر محرم . وذهب ابن خلدون الى ان السلطان دخل القيروان في ثامن محرم كما تقدم .

170) محسورا = محصورة ، والمدة التي ذكرها الشاعر قد تكون محصوبة بالضبط ، لأن السلطان دخل القيروان في عاشر محرم ، وخرج منها في اخر ربيع الثاني انظر العبر 7 : 574 .

171) سورا = سورها ، والشاعر يشير الى محاولات الصلح والتفاهم مع الاعراب لفك الحصار الى ان تم ذلك .

307 – سحنون والقابسي وما جرا (172)
وابن ابي زيد ملتقى البحران

308 – واذا مسّ القنط رقا الصمْعَا
يتفسح بالنظر شمال ويمين

309 – ينظر لمْع السيوف مع القطعا
كنجوم الليل فوق الأرضين

310 – والفسطاط دار بها ولا الربعا
من باب القروان لِباب الصين (173)

• • •

311 – واذا جا الليل وطلعت الزهرا (174)
ينظر الارض بحر من نيران

312 – وفي وقت الصبح ضجت الغبرا (175)
بصياح الابل لا من الاذان (176)

---

172) وما جرا = وهلم جرا .

173) الفسطاط = الخيام والربعا = الربعة : المحل المسور ، ولا يوجد باب الصين من ابواب القيروان فيما وقفنا عليه ولعله باب الطين ، ولكنه ايضا غير مذكور في ابواب القيروان .

174) الزهرا = الزهرة وهي الكوكب المعروف .

175) الغبرا = الغبراء وهي الارض ، وتقرأ ايضا : القفرا اي القفر وفي وقت ، في الاصل : وفوقت .

176) صور الشاعر في هذا القسم كيف كان ابو الحسن يقضي يومه في جامع عقبة خلال الحصار ، فذكر ان نهاره كان يمضي بين التفكير في التخلص من الحصار ، وشهود مجالس الشيوخ الذين كانوا يدرسون مختلف الفنون ، ويقرئون مؤلفات سحنون ، وابن ابي زيد القيرواني ، والقابسي وغيرهم من اعلام افريقية ، فاذا مسه القنوط رقي صومعة الجامع ، ونظر يمينا وشمالا ، فلا يرى الا سيوفا تلمع ، وسياجا من الخيام يحيط بالمدينة من جميع الجهات ، وفي الليل تبدو مواقد البدو كبحر من النيران ، وعند ما يحين وقت الصبح تضج الارض برغاء ابلهم ، ولا ينطلق الاذان ابدا من مضاربهم لانهم لا يصلون .

313 – يقول (177) ياخالق الجميع من ما (178)

أنتَ أمَلي والرّقيب علَى قلبي

314 – تعلم ما كان مجيئي لذا الأمـا

لا مـن ظـلمي لـهـا ولا غـضبي

315 – الا غـيـرت منكـرا جـمـا

فيهـا بشريعـة النبـي العربـي

* * *

316 – صبت ظلما وبحر من خمـرا

مـن حـد افريقيـة لمـزغـنـان (179)

317 – وطريق الحج عطّلوا المجْرا

تحلب فيهـا مصـارن الـركبان (180)

318 – يارب كنت خدت عبد الـواد

وفنيـت سلطانهـم علـى حجـا (181)

---

177) من هنا تبدأ المناجاة التي اجراها الشاعر على لسان ابي الحسن ، وقد وردت بداية هذا القسم من قوله : يقول الى قوله : الركبان ، مع القسم الذي قبلها في غير الموضع المناسب في الاصل المخطوط ، وقد رأينا ان السياق يقتضي وضعها هنا .

178) من ما اي من ماء .

179) صبت = وجدت ، وافريقية = تونس ، ومزغنان : مدينة الجزائر التي يقال لها جزائر بني مزغنان ، ويقال ايضا جزائر بني مزغنة نسبة الى قبيلة معروفة .

180) انظر تمهيد ابي الحسن طريق الحاج في المسند لابن مرزوق ص 384 وقوله : تحلب الخ كناية عن نهب الحجاج وفرض الاتاوات عليهم .

181) على حجا = حجة اي بينة ، ويقصد بها اعتراضهم سبيل الحجاج ، وردهم اياهم قبل اداء الفريضة ، ويقول ابن مرزوق التلمساني : « ولما نازل تلمسان وحاصرها كان اعظم ما نقمه على صاحبها تعرضه للمتوجهين من المغرب برسم الحج ، ويرى تمهيد الطريق بمنازلتها والاستيلاء عليها ، ويعده من اكبر الاعمال » المسند : 385 .

319 – كان ياتي الحجيج بالرحيل والـزاد

ويـردو قبـل يعقـد الحجا (182)

320 – مع ما كان جرى من شراب وفساد

والمسْجون يسْجَن اربَعين حجا (183)

* * *

321 – ولقـد صبنـا في قبـة الحمـرا

ناعـورا مـن خمـر لهـا جريـان

322 – ما عطّـل حرْكتا ولا كسْرا

الا سيـفي وعـونك أرحـمـان (184)

323 – صبْت تاشفين وما جرت به الأقلام

وتْعفّفْنا عـن القبيل قاطِب (185)

324 – بعد عداوة مية وخمسين عـام

ما سبينـا فيهـا لا مـرا ولا كاعِب

---

182) الحجا = الحجة الواحدة .

183) حجا = حجة اي سنة ، وهكذا تم للشاعر في قافية هذه الابيات استعمال هذه الكلمة التي هي من المثلثات .

184) = صبنا = اصبنا اي وجدنا ، والقبة الحمراء من القصور التي شيدها ابو تاشفين ، والناعورة معروفة ، ويذكر المؤرخون ان ابا تاشفين كان ممعنا في القصف واللهو . (انظر تاريخ الجزائر العام 2 : 135 تاليف عبد الرحمن الجيلالي) .

وحركتا = حركتها ، وكسرا = كسرها .

185) انظر في تعفف ابي الحسن وعفوه عن اهل تلمسان بعد دخولها : مسند ابن مرزوق : 202 .

325 — والتّدريك مع بني مرين في زمان
والاحسـان والبلـد مـع الـراتـم

• • •

326 — جازوا مَن حرزَم من الشّفْرا
اربــي بالجـفـا وبالهـجـران (186)

(187)

328 — أما تونس عِصابة التوحِيد
أنتَ اعـلَـم بـي وبِهـم اقيــوم

329 — شاركتم في الأمر قديم وجديد (188)
وفنّيت جيشي في نصرتم لِلـيّـوم

330 — ولْنا عام نقْطَع لهم البِيـد
كي نـرفـع ظلمهـم علـى المظـلـوم

• • •

186) يعترف يحيى ابن خلدون مؤرخ بني عبد الواد بما يقوله الشاعر ، فقد ذكر ان ابا الحسن « استخدم قبيل عبد الواد ، وحفظ عليهم رتبتهم ، وابقى لشعوبهم وقبائلهم المراسم التي الفوها بايامهم » (بغية الرواد ٢ : ١٤٢) .
والتدريك : التقييد والتدوين
* وحرزم = حرزهم اي حماهم ، والشفرا = الشفرة وهي السكين .

187) سقط هنا في الاصل البيت الثاني من هذا القفل .

188) شاركتم = شاركتهم ، في نصرتم = في نصرتهم ، والشاعر يشير الى زواجه القديم والجديد من تونس .

331 — لما ارسينا بتونـس الغـرا
وجدنا المنكر فيها على الْحيطـــان

332 — والنسْوان يشْربو بلا ستْرا
والمعْجون يشْتري من الدّكان (189)

333 — جيت نتْقدم لهم على الجملا (190)
ونخل البحَـر بينهـم مخْلـوط (191)

334 — والتزموا لي شيوخ منهم فضلا
قالوا يدك في ارضِنــا مبْسوط (192)

335 — مهْما تعْطي الظهر وتتْـولا
عاد المزمار يكون فيها والروط (193)

• • •

336 — مات مولاها ما كان يرا قطرا
مَع ما كان معتكِف على البيجان (194)

189) يشير الى انتشار الخمر والحشيش في مدينة تونس ، وقد ذكر هذا ايضا الوزان في وصف افريقيا ج ٢ ص 78 ، والوزير السراج في الحلل السندسية وغيرهما .

190) الجملا = الجملة اي الجماعة ، ولعل الشاعر يقصد بهم اولاد السلطان الحفصي ، اذ كان ابو الحسن وصيا على ملكهم . انظر العبر 7 : 557 .

191) اي اعيد المياه الى مجاريها

192) انظر رغبة فقهاء افريقية في السلطان ابي الحسن في المسند لابن مرزوق والرحلة لابن خلدون والمرقبة العليا : ١٦١ — 162

193) الروط من الات الموسيقى في الاندلس ، ولعلها انتقلت مع الاندلسيين الى تونس . انظر رسالة الشقندي في النفح وقاموس دوزي

194) قطرا = قطرها ، والبيجان = البيزان اي انه كان مشغولا بتربية البزاة ، وترك امور الدولة لحاجبه ابن تافراجين . انظر العبر .

337 – وان وليت عنا وتزرا (194م)

خاصمناك عند سيد الثقلان

338 – أما عربان فريقيا تعلم

أرب ما جرت به الاقلام

339 – عاينت المعصية صحيح عندم (195)

واموال الحاج بالصحيح تغنام

340 – اقوام تعطي السلم على المسلم

حتى ياتي بحجة الاسلام (196)

• • •

اكان جفت بني مرين مرا

أرب ما علمت لم بهتان (197)

194م) وتزرا ، كذا في الأصل ، ولعل صوابها : ولو تزرا ، وسيد الثقلين هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

195) عندم = عندهم ، واموال ، في الاصل ، باموال .

196) لعله يشير الى الاتاوة او الخفارة التي كان الاعراب ياخذونها من الحجاج

197) اكان : ان كان ، لم = لهم .

342 – مرغدان قطعت والسخرا

والدمه والخطيا ودار الاخزان (198)

343 – نقت ما حلقت من مكوس ومروس (199)

عن غربي او مقيطن او حوزي (200)

344 – وقطعت الوسق من هنا للسوس

في ماعون كل كافر مخزي (201)

---

198) مزغدان او ايمزغدن باللسان البربري معناها السكان ولكنها هنا اسم مغرم من المغارم ، قال ابن مرزوق : « وهو عبارة عمن خرج عن وطنه لفقره وحاجته ، ولم يتركه مستقلا ، يطلب حيث كان من البلاد ، وان كان قد فارق وطنه السنين الطائلة ، وربما ينتهي العمل الى طلب ذريته ، فيؤخذ منه ما يوظف على كل واحد ممن هو في ذلك الوطن يستغل ماله ، وهي احدوثة عظيمة في الاسلام ، وقعت فيها من الهموم والشناعات ما لا يحصى ، حتى ان الشخص يغرم مع الموضع الذي رحل عنه ، والموضع الذي رحل اليه . » المسند : 285 – 286 . والسخرا = السخرة وهي معروفة ، والذمة (الدية في الاصل) مغارم توظف على الرؤوس ، قال ابن مرزوق : « كانوا يوظفون فيها المغارم على الرؤوس فيجعلون على كل شخص صغيرا او كبيرا ، قويا او ضعيفا حتى الرضيع ، مغرما يخصه ، وكانت مظلمة لا نظير لها في المظالم المحدثات ، وصارت اخت الجزيات المضروبة على اهل الذمة بل اشد . » والخطيا = الخطيئة ، من المغارم التي ذكر ابن مرزوق انها كانت مفروضة على اهل البوادي ، ودار لخزان = المخزن ، وقد تحدث ابن مرزوق عن تضعيف المغرم المعهود على المخزن خمس مرات في حال الاختفاء (انظر شرح هذا في المسند : 285 – 286 .)

199) قال ابن مرزوق : « فلنذكر في هذا الفصل ما محاه من المناكر ، ورفعه من المكوس عن البوادي والحواضر ، اما ما احفظ له مما رفعه بمدينة فاس المحروسة فاولها ما كان يرفع من فوائد المروس » . انظر الفصل بكامله في المسند : 282 – 286

200) فيه اشارة الى اهل الغرب واهل الحوز واهل القيطون وهذه هي عناصر السكان الرئيسية في المغرب على عهد المرينيين .

201) السوس اقليم معروف في جنوب المغرب ، والماعون : هو السفينة هنا . وراجع ما قلناه في الوسق رقم 73 . وفي الاصل : في الماعن ، بضم العين ، ويمكن ان تكون : في الماء عن .

345 — واذا فرجْتِ عَن ذا المحْبوس

التخْريص نقطْعو مع ازَرزِي (202)

• • •

346 — ونـرد الفيـل تقـوده الـذرّا

بأحكـامي والذيـاب مـع الخرفـان

347 — حتى يسمع في كل سوق يقـرا

احكـام عبـد العزيـز بـن مـروان

348 — ضـعـَف الدين واستحالت النيا

يارب والعـدل بقـى فـردي (203)

349 — بـركـه من دَم رجـعَت الدُنيا

ومتى نقـدَر نطـهرا (204) وحـدي

350 — واليوم الاعمش في حضرة العميا

يتكنّـى بوضيـا وبومهْـدي (205)

• • •

202) قال ابن مرزوق في التخريص : « ومما رفع عنهم الخرص في الجنات وكان عظيم المضرة ، يوظف على الناس وظائف في جناتهم ، وربما تعجز الجنات عن التوفية بها ، فادى ذلك الى ان قطع كثير من الناس جنته ليسقط عنه الخرص . » المسند 282 — 283 . اما ازرزي فهي كلمة بربرية معناها الكلفة او القرض او المغرم عامة ومنها الزرزاي اي الحمال .

203) فردي اي وحيد غريب .

204) نطهرا = نطهرها .

205) هذا مثل عربي معروف . راجع ضيفه في كتابنا : امثال العوام (: 39 وربما ينكت الشاعر بقوله : بوضياء وبومهدي ، على بعض معاصريه ممن يتسمون كذلك

351 — وذنوبْنا ما تـرفـعا ابـرّا (206)

لاكـن جـودَك وحِلـمَـك امَتـان

352 — ان لم تنصر علي في ذا الحسرا

لا يعقوب ينصـرو ولا عثـمان (207)

353 — ثم وضع جبْهتو على الرمْلا

ساجد خاضع لخالـقـو اجـلال

354 — مما خلص في الدعا الى المولى

نـاداه بالتلبيـة لسـان الحـال

355 — ان اقرا : (سبح اسم ربك الاعلا)

واقـرا : (يس) وتنفْـتح الاقـفـال (208)

• • •

356 — كـم غـاظ الدهر أملاك بـررا

وانظـر لابـن الزبيـر مـع عثمـان

357 — ما استلقوا من لطايف الـقـدرا

ما يملا خاطـرك وفاك شكـران (209)

206) هذا مثل العبارة المغربية : ما يترفدش باللقاط ، وما ترفعا = ما ترفعها .

207) علي : هو السلطان ابو الحسن ، اجرى الشاعر على لسانه هذه المناجاة ويعقوب هو والده يعقوب بن عثمان بن عبد الحق ، والحسرا = الحصر اي الحصار .

208) لعله خص السورتين المذكورتين لما ورد في الحديث ان الاولى تقرا في السجود وان الثانية اي سورة يس تقرا لقضاء الحاجات ، وتنفتح الاقفال اي ينفرج الحصار .

209) املاك اي ملوك ، وبررا = بررة ، واستلقوا اي لقوا .

وفي هذا عزاء لابي الحسن بما حدث للخليفة عثمان الذي حوصر بالمدينة وقتل ، وعبد الله بن الزبير الذي حوصر بمكة وقتل كما هو معروف .

358 – بالله اسمع كف خرج الى سوسا (210)

بامـر البـاري مسبب الأسبـــاب

359 – لما طوت عليه العرب موسا (211)

سخرلو مـــن بني حكيم احبـاب (212)

360 – كادت تحـْمـلو على روسا (213)

لمدينتهم وهـــي لتونـس بـــاب (214)

• • •

361 – يقال جات الـدبوب علـــى دورا

وطلبوا لو القوت * وحلقت الكعبان

362 – ما نسمح لهم بصاع من بــرّا

ما معـْنـا بـَش نرمـّق الـّولـْـدان

363 – قالوا كـف تمنـّع لنا الـّحبـّــا

وانتم اهـل البلـد ونحـن نجـــوع

210) سوسا = سوسة ، وهي مدينة معروفة على البحر وتبعد بنحو 60 كيلومترا عن القيروان .

211) الموسى : السكين ، وهذا مثل ، انظر كتابنا : امثال العوام 2 : 470 .

212) بنو حكيم قبيلة عربية ذات بطون ، كانت تنزل ما بين مدينة سوسة وقصر الجم (العبر 6 : 163 ورحلة التجاني : 55 ، 65) .

213) على روسا = على روسها اي على رؤوسها ، وذلك من الفرح والاعتناء .

214) مدينتهم هي سوسة ، وقد ورد مضمون ما ذكره الشاعر هنا عند ابن خلدون في العبر ، قال :

« وكان لابي الهول (شيخ قبيلة حكيم) مناصحة للسلطان ابي الحسن ، حين اجلب عليه بنو سليم ، وداخله مع اولاد مهلهل في الخروج على القيروان ، فخرج معهم جميعا الى سوسة . » العبر 6 : 164 . ويقول في مكان اخر : « وداخل السلطان اولاد مهلهل من الكعوب ، وحكيما من بني سليم في الافراج عنه ... » العبر 6 : 820 .

* في الاصل : وصفوا لو القوت .

364 – وجابتنـا الحميه والـْعصبـّـا

ونموت عندكـم بِسـيـف الـْجــوع

365 – لكـن اليـوم نـعـْقد الصـُحـْبـا

لا قـْتـَلـْنـا بسيـف ولا بــــدروع

• • •

366 – وانكبوا لـيـد ابو الحسن نصرا

وعـْطوه ما عـَطـَوا ملوك غـَطـفان (215)

367 – من عـَهد الله لـنبيه في البـَـررا

عام الاحـْزاب كان على ابي سفيان (216)

215) الذبوب : لعله يقصد بهم عرب ذباب من بني سليم ، والكعوب : هم قبائل بني كعب من بني سليم كذلك ، وعلى دورا : لعل معناه بدورها ، وبرا : يعني البر ، وهو القمح ، وبش : باي شيء ، ونرمق : نسد الرمق ، واهل البلد هم بطون حكيم ، والنجوع هم المنتجعون من ذباب ، وقوله : وانكبو ليد ابي الحسن ، نجد مصداقه في المسند لابن مرزوق حيث يقول عن هؤلاء الاشياخ : « فاكبوا على قدميه وقالوا : يامولاي ... » المسند : 334 . وغطفان وردت في الاصل : غسان وهو تحريف .

216) يشير الشاعر في هذا القسم الى الخلاف الذي نشب بين الاعراب ، قبيل خروج ابي الحسن من حصار القيروان ، وميل قبيلة حكيم اليه ، وقد قرن بين هذا وبين ما حدث في غزوة الخندق او الاحزاب ، ولك انه لما اشتد على الناس الحصار بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قائدي غطفان : عيينة بن حصن والحرث بن عوف فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عنه وعن اصحابه فجرى بينه وبينهما الصلح .

ويبدو ان مقصد الشاعر من هذا التشبيه هو ان ابا الحسن – فيما اشترط به من اموال وحبوب للاعراب لقاء الافراج عن القيروان – كانت له قدوة بما وقع في حصار المدينة عام الاحزاب ، ولم يشر المؤرخون الى الحبوب التي وقع عليها الخلاف بين بطون حكيم وغيرها وانما اشاروا الى الاموال واختلاف الاعراب بسببها .

368 – فاتسعت فرسخين عن السور (217)
وضياقت الأرض بابن تافراجين

369 – لما اتوه بصيحة المدعور
نادوه عند الدخول شيوخ مرين

370 – أف قالو خذ فاس الغدر وقم مطمور
وبسط لو فوقها ردا التهوين

• • •

371 – ودخل كف قال في وسط ذا الحفرا
وما تخفى سريرة الخوان

217) ياخذ الشاعر هنا في سرد الماجريات والظروف التي تتصل بفشل الحصار ، ونفهم رواية الشاعر بمعارضتها بما عند ابن خلدون وابن مرزوق . جاء في العبر (6 : 820) : « وداخل السلطان اولاد مهلهل من الكعوب وحكيما من بني سليم في الافراج عنه واشترط لهم على ذلك الاموال . واختلف راي العرب لذلك . ودخل عليه قتيبة بن حمزة بمكانه من القيروان ، زاعما للطاعة ، فتقبله ، واطلق اخوانه خالدا واحمد ، ولم يثق اليهم .. » ويقول في موضع اخر : « وافترق امر الكعوب ، وخالف بعضهم بعضا الى السلطان ، وتساقطوا اليه . فتنفس مخنق الحصار عن القيروان ، واختلفت اليه رسل اولاد مهلهل ، واحس بهم اولاد ابي الليل ، فدخل ابو الليل قتيبة بن حمزة بنفسه ، وعاهد السلطان على الافراج ، ولم يف بعهده ، وداخل السلطان اولاد مهلهل في الخروج معهم الى سوسة ، فعاهدوه على ذلك . » العبر 7 : 574 . ويقول ابن مرزوق : « وذاكرت بهذه الحكاية صاحبنا المرحوم ابا زيان عريف بن يحيى رحمه الله فقال : هذا بعينه جرى له في القيروان وهو محصور ، وقد حاولت على قتيبة حتى دخل . ووجهت له رضي الله عنه بمثل هذا المعنى (اي بالقبض عليه) . فلما دخل ندم اخوه عمر وجميعهم على موافقتهم له على الدخول . وقالوا : ان امسكه تمكن من رقابنا كلنا . فما كان الا ان دخل حتى تقدم اليه من حذره . وقال له يامولاي قد مكننا الله من عدونا . فما ضرنا لو انا امسكناه حتى يرتحل هؤلاء . فاجابهم بمثل جوابه الذي حضرته . (اي انه لا يخفر العهد) قال : وبعث لي بمثل هذا الجواب ، فدخل (اي قتيبة) على اختياره . وخرج بكسوته رضي الله عنه ومركوبه . فلما خرج على هذا الوجه لم يستقر ببيته حتى عاد لخلافه ، وزحف بقية يومه للقتال . » المسند 335 (مع تصويب للمتن) .

372 – ان كان ترتضوا لنا غفرا
نحن اولى ان نغفروك الآن (218)

373 – قال السلطان وتربة الوالد
ما نخرج عن ظل ذا العتبا

374 – حتى ياتي لذا المكان خالد
وعليه كانت مراهن القصبا

375 – فابعت كتبه يسرح القايد
لا كن كان خاه يريد رتبا (219)

• • •

376 – لما اطلق حرها ومعتبرا (220)
وصل لتاج الملوك لتاج القروان (221)

377 – بعد ان كان ميلو على الوفرا
ردو حتى لمجلس السلطان (222)

218) لعل معنى الاشارات الواردة في هذه الابيات ان شيوخ بني مرين اشاروا على السلطان بمن تحفر مطمورة بموضع جلوسه ، وتخفى ببساطة بحيث يقع فيها عند اقترابه للسلام على السلطان ، ولكنه انكر هذا واكب قتيبه الغادر امام السلطان كالمستغفر ولكنه كان يتثبت مما تحت البساط ، وقال له السلطان : نحن اولى بالعفو اذا ملتم الى الصلح . راجع المسند : 335 .

219) اي ان قتيبة اشترط على السلطان اطلاق اخيه خالد المعتقل بتونس كما مر ، فكتب الى قائده بتسريحه ، ولكن تبين ان قتيبه كان يطلب اكثر من هذا . (راجع العبر 6 : 820) . ويريد ، في الاصل : يزيد .

220) حرها اي حر الكعوب ، ويعني به خالد لانه كان ابن حرة ، واخوه قتيبه ابن امة . ومعتبرا = معتبرها .

221) يقصد السلطان ابا الحسن وفي الاصل : وصل تاج الملوك لتاج لقران .

222) اي بعد ان كان خالد مع قومه اصبح الى جانب السلطان

378 – لما صافح اميرنا طرقـــــا
لمحلّة خاه وهـي هـي الحجـــا

379 – قالوا نحن لابو الحسن عتقا (223)
مـا تـوخـذ مـهجتـو ولا تسجــا

380 – جالفتاتة وخمم المسقـا
ما صاب فيه لانجا ولا ملجـــا

* * *

381 – فاقلع بمحلتو وجا واسرا
حتى ربع في مجلس السلطـــان

382 – قال خاك مثل مربط المهــرا
ماينقه لا فـرات ولا سيحـان (224)

383 – لاكن ادعو بابن مسكين (225) عندي
ومقامو في العـرب شفـا المبلـي

384 – يجعل منهم بني حكيم ردي (226)
الى سوسا وعتبات السهلـــي

---

223) كان ابو الحسن قد اعتقل خالدا وبعض الشيوخ ثم اطلق سراحهم وعتقا = عتقاء .

224) الفرات نهر معروف ، وسيحان = سيحون نهر معروف كذلك

225) ابن مسكين هو خليفة بن مسكين ، احد الاشياخ الذين تقبض عليهم ابو الحسن ، بين يدي واقعة القيروان ، ثم اطلقه وهو محصور بالقيروان ، فكان له به اختصاص من بعد ذلك . العبر 6 : 104 وفي الاصل : لاكن ادعو بمن سكن عهدي ولعل الصواب ما اثبتنا .

226) ردي = ردءي ، والردء : العون ، وسوسة المدينة المذكورة انفا ، وفي الاصل : روسى ، ولعل الصواب ما ذكرنا ، والسهلى ، في الاصل : المهلي ، ولا معنى لها ، وعتبات السهلي : لعله يقصد بها قصر الجم المعروف بعتباته ومدرجاته ، ومنه يرى كوكب سهيل (انظر رحلة التجاني : 39) .

– ونعمل فيهم كعملة المهـدي (227)
كيف كان قدم الموحد ابن علـــي (228)

* * *

– فاتفقوا ذا الثلاثة الامرا (229)
أن يخـرج ذا الملك علـى البيبـــان

– قالوا لا تجعل النهار شهـرا
الليـل افضـل مـلابـس الفرســان

– خرج السلطان في ليلة الجمعـا
في عشريـن مـن ربيعنـا الأول (230)

– صلى المغرب وخاف من الخدعا
وارب‍ـاب الـدايرا عليــه تعجل (231)

---

227) يبدو انه يشبه التاخي الذي عقده السلطان بين خالد من اولاد ابي الليل وبني حكيم وهما من قبيلتين مختلفتين ، بالتاخي الذي عقده المهدي بين عبد المومن وقبيلة هرغة ، انظر كتاب الانساب للبيذق : 21 تحقيق الاستاذ عبد الوهاب بن منصور وقام ، في الاصل : قام .

228) ذكر الشاعر في هذا المقطع ان السلطان لما اطلق خالد بن حمزة ، حاول هذا اقناع اخوه قتيبة برفع الحصار ولما ابى تركه ، وتحيز – كما يقول ابن خلدون – الى شيعة السلطان ابي الحسن من اولاد مهلهل وقومه فاعتزوا به » .

229) هؤلاء الأمراء او الشيوخ هم محمد بن طالب رئيس اولاد مهلهل من الكعوب ، وخليفة وابو الهول من شيوخ اولاد حكيم ، انظر العبر 6 : 162 ، 164 ، 820 .

230)يذكر ابن خلدون ان ابا الحسن واعد اسطوله بمرسى سوسة ، وخرج اولا على تعبئة مع الشيوخ المذكورين ، وذلك في شهر ربيع سنة 749 هـ ، انظر العبر 6 : 820 ، 7 : 574 .

231) الخدعا = الخدعة ، وذلك لانه لم يكن يثق بهم (انظر العبر) والدايرة = الدائرة اي الحاشية ، والمعنى انهم كانوا يستعجلونه في الخروج ، خشية ان يرجع المذكورون في كلمتهم .

390 — قال لَم الملك بالذي رَفعَــا
حتى نقضي العشا في ذا المنزل (232)

* * *

391 — حلّ الزكروم وزول الصخرا (233)
ميزهم ذا المــلك علـى البيـــان

392 — قال كف آرقا تصد عن وكرا (234)
وتتـــرك فــي مخالـب العقبـــان

393 — ودع في القيـروان حضر وبتر
واخرج بعدا فرغ من العتما (235)

394 — وترك من طلبتو هنـــاك معشر
من لا يقدر على المشي ظلما (235م)

395 — بعدن ركب من سلالة الابحر (236)
قــرطاسيا رجــع علــى دهمــا

* * *

---

232) لم = لهم ، ورفعا = رفعها (يعني السماء) والمعنى انه اقسم ان لا يخرج حتى يصلي العشاء .

233) الزكروم = مغلاق الباب ، وهي كلمة عامية ما تزال مستعملة ، والصخرا = الصخرة التي يسند بها الباب .

234) ارقا = ورقاء ، وهي الحمامة ، وكرا = وكرها ، ولعل في هذا اشارة الى لون ابي الحسن .

235) العتمة صلاة العشاء .

235م) معنى هذا البيت والذي قبله ان ابا الحسن لم يخرج معه جميع من كان معه . وهذا ما ينص عليه ايضا ابن قنفذ في الفارسية (170) : « خرج الى تونس ، وليس معه الا خواص الفرسان والفقهاء والكتاب والعلوج والوصفان » .

236) بعدن = بعد ان ، والابحر : هو اسم فرس عنترة بن شداد العبسي ، وقرطاسيا = قرطاسية ، وهي الشهباء البيضاء التي لا يخالط لونها شية ، والدهماء السوداء .

396 — وجعل جيشو كرادس النصرا (237)
وجعل غــرة مريــن الجمعـــان

397 — وجعل في كل كبكبا نقرا (238)
ومشى على كالنهار تقد نيــران

398 — جا للباب ثم قال يمين وشمال
أنـا في حمـاك يالنبي المحبـــوب

399 — ستر بالله أمقلب الأحـــوال
يا الهــادي تهدينـي الـى المــرغوب

400 — ما ثم فيل ولا ابو الأشبـــال
الا طالِـب في ستـرك امطلـــوب

* * *

401 — شمو الريح العرب وجات نصرا
واتصلت خيلهـم ولا الــزرقـــان

402 —
(240)

---

237) هذا معنى التعبئة التي وردت في كلام ابن خلدون انفا وكرادس = كراديس ، وفي كتائب الخيل ، وغرة = غرته اي غرة الجيش ، وفي الاصل : عدة ، والجمعان : الجموع .

238) كبكبة = كوكبة ، ونقرا : لعل معناها الحسكة (الشمعدان) من النقرة ، وقد تكون : نورا ، والنور : الحسكة والشمعدان ايضا .

239) نصرا ، وقد تكون محرفة عن تترا = تترى اي متتابعين ، والزرقان جمع زرق ، والزرق : طائر بين البازي والباشق يصاد به ، والمعنى ان البدو اقبلوا كالنسور الواقعة .

240) سقط في الاصل البيت الثاني من هذا القفل .

403 — تبعوه من كدية الشعير (241) بالسيف
حتى رماه القضا بباب سوسا

404 — ثم ردت عليه مرين تكريف
تشهد لم في السما عصا موسى (242)

405 — كن ما انحرف عن العدو للسيف
الا درسوه كدرس مهروسا (243)

• •

406 — عجبت من فعلم ضيا الزهرا
والكاتب والثريا والكيوان (244)

407 — أما بو لفضل ما ترك بشرا
اولاد وسناف ولا ولاد زيان (245)

---

241) كدية الشعير تقع قبل القيروان على بعد مرحلة منها . البكري : 146 .

242) تكريف : تضييق ، وهو يشير الى اتيانهم بالاسطول وتصديهم للمطاردين ، ولم = لهم ، وعصا موسى هي الجوزاء عند اهل الاندلس والمغرب ، جاء في شعر لابن سعيد الاندلسي :

وشقت ، عصا موسى ، من الليل لجة ... تموج بها موج السحاب الذي يسري

سرور النفس للتيفاشي : 130 .

243) في الاصل : كن ما اتعرض عن العدو ستيف ، ولا معنى له ولعل صوابه ما اثبتنا ، والسيف : ساحل البحر ، ومن المعروف ان ابا الحسن ركب اسطوله الذي كان ينتظره في سوسة ، ومهروسا من هرس بمعنى دق الحب وغيره وطحنه حتى يصير مهروسا اي مطحونا والمعنى هنا على سبيل المجاز كقولهم : طحنتهم الحرب وطحنتهم المنون .

244) فعلم = فعلهم ، والزهرا = الزهرة ، والكاتب في اصطلاح المنجمين الاندلسيين والمغاربة هو عطارد ، والثريا معروفة ، والكيوان هو زحل ويسمى ايضا عند اهل المغرب : المقاتل ، وتجدر الاشارة الى ان الشاعر كان ملما بالتنجيم ولنا فيه قصيدة .

245) ابو الفضل : هو ولد السلطان وقد سبق ذكره ، راجع رقم 138 ، ولا يوجد في المصادر التاريخية اي اشارة الى محاربته لاولاد زيان واولاد سناف الذين اشتركوا مع الاعراب في محاصرة القيروان وتونس .

408 — (246) كانت تونس أزقتا والسوق
تضرب مثل شابل الشبكا (247)

409 — والقروان كان على الأمير مغلوق
والقصبة مطوق ولا الشبكا

410 — والشيخ بن تافراكين المخنوق
من هم يرتعد ولا السمكا (248)

• • •

411 — لمن را النصر جا من الحضرا
قام عجلان من حصر للديوان
لرباض الروم لبيعة الأسرى
وهرب في الماء كجن سليمان (249)

---

246) انتقل الشاعر الى وصف ما كانت عليه الحال في تونس وغيرها خلال حصار القيروان وبعده .

247) ازقتا = ازقتها ، تضرب : تضطرب ، والشابل سمك معروف بالمغرب .

248) الامير : هو ابو الحسن ، والقصبة : يعني قصبة تونس ومطوق = مطوقة ، ولا الشبكا اي ولا كتطويق الشبكة ، وفي رواية بالطرة : مثل مضرب الشبكا ، ومضرب الشبكا حيث تضرب الشبكة في البحر لحصر الحيتان ، ومضرب الشبكة مشهور في تونس ؛ والسمكا : السمكة وهي غير واضحة في الاصل .

249) ربض الروم او ربض النصارى وردت الاشارة اليه في الاكمال للابي 4 : 189 وتحدث عنه بتفصيل الوزان في وصف افريقية 1 : 74 وانظر فيه كذلك افريقية الحفصية لبرونشفيغ 1 : 347 ، 449 ، 452 ، وبيعة الاسرى لعلها كنيسة الروم التي كانت بمقربة منه ، والشاعر هنا يصف كيف هرب ابن تافراجين من موضع الحصار في القصبة الى مرفا تونس حيث ركب سفينة الى الاسكندرية ، راجع العبر لابن خلدون

وفي الاصل : قام علال من بحيرة الديوان .

ويبدو لي انه تحريف ، اذ انه الشاعر سيتحدث بعد قليل عن علال ويذكر انه قتل مكبلا ومقيدا .

413 — كانت (250) نيت عريف (251) على التحريف (252)
مع علال كان خرج وبن يربوع

414 — لمحلات العرب دني وشريف
باحكام الصلح والخبر مسموع

---

250) انتقل الشاعر الى ذكر الحوادث التي وقعت في تونس وغيرها خلال حصار القيروان وبعده ، واشار الى حصار تونس الفاشل من قبل ابن تافراكين ، وكان هذا الرجل مع السلطان في القيروان ، ثم تحيل في الخروج زاعما ان الاعراب بعثوا اليه ليحملوه حديث عودتهم الى طاعة ابي الحسن ، ولما خرج انضم الى صفهم ، وانطلق الى تونس لمحاصرة من كان بها من اهل ابي الحسن وبناته وابنائه ووجوه قومه الذين تحصنوا بالقصبة ، وصمدوا للحصار ، وعند ما علم ابن تافراجين بخروج ابي الحسن من الحصار ، تسلل عن اصحابه وفر في سفينة الى الاسكندرية ، ويذكر ابن بطوطة ان المغاربة في الاسكندرية كادوا يقتلونه انتصارا منهم لسلطان بلدهم ابي الحسن الذي كان طالب حكام مصر بتسليمه ، ولكنهم لم يستجيبوا الى طلبه ، وتنكروا لحسن معاداته لهم ورفيع هداياه اليهم ، ولا شك انهم لم يكونوا راضين عن دخول ابي الحسن الى افريقية واقترابه من حدودهم ، مع انه لم يزد على ان وحد المغرب العربي تحت سلطة واحدة كما كانوا هم يجمعون بين مصر والشام والحجاز .

251) عريف هو شيخ السويديين الذي تقدم ذكره ، وللشاعر الكفيف راي خاص فيه سبق ان اشار اليه ، والواقعة التي يذكرها في هذا القسم لمح اليها ابن مرزوق فقد نقل عن عريف قوله : « هذا بعينه جرى له (اي لابي الحسن) في القيروان وهو محصور ، وقد حاولت على فتيتة حتى نخل ، ووجهت له رضي الله عنه بمثل هذا المعنى » فهذا الكلام يفيد ان الشيخ عريف خرج من حصار القيروان لمحاولة الصلح مع الاعراب ، وخرج معه — فيما يقول الشاعر — علال بن محمد بن امصمود ، والفقيه ابن يربوع ، ويبدو أنهم خرجوا في وقت خروج ابن تافراجين الذي سبق ذكره ، وقد اعتقل الثلاثة عند خروجهم ، ولكن ابن تافراجين اشار على البدو باطلاق عريف وابن يربوع ، واحتفظ بعلال بن امصمود ، واخذه معه مقيدا لما توجه الى محاصرة قصبة تونس ، ونادى ابن تافراجين المحاصرين واراهم خديم السلطان ، وحاول ان يكرهه على التصديق على قوله لهم ان السلطان مات فلم يخضع للاكراه ، بل انه نصحهم بالصمود والثبات ، ولما صفعه الاعراب اصحاب ابن تافراجين بادر اهل القصبة باخراج شيوخ العرب الذين كان السلطان تركهم مسجونين بها كما تقدم ، وفعلوا بهم نفس الشيء فتوقف الاعراب عن اذاية علال ، وتركوه موثقا بالقرب من اسوار القصبة الى ان عاد السلطان الى تونس ، انظر المسند : 354 ، 309 ، 480 والعبر 7 : 371

252) التحريف اي الانحراف عن السلطان ، علال : هو ابو حسون علال بن محمد بن امصمود الهسكوري اقرب المقربين الى ابي الحسن (انظر المسند) ، وابن يربوع هو الفقيه ابو العباس احمد بن يربوع من علماء ابي الحسن وجلسائه وسفرائه (انظر المسند) .

415 — ما وجدو عندم (253) من التضييف
غير الاكبال المتقلين والجوع

* * *

416 — قال لم (254) بن تافراكين العرا
خذوا علال وسرحو الاتنان

417 — هم سنوا قبل سنة الغدرا
ومن سقى المر يشرب القطران

418 — وخرج بن تافراكين المفتون
بابن امصمود (255) اسير في ظهر بعير

419 — لتونس ودعا بطائفة أمديون (256)
وطلع واحد على الجدار ويشير

420 — تدرو ذا قالوا نعم أبو حسون (257)
قال هو يشهد لكم بموت الامير

* * *

---

253) عندم = عندهم .

254) لم = لهم . العرا = العرة ، يقال فلان عرة اي قذر لا خير فيه

255) ابن امصمود هو علال السالف الذكر .

256) امديون : هو ابو حسون زيان بن حسون بن امديون ، زوج اخت السلطان ابي الحسن ، ومحل سره ، وكان تركه مع اهله واولاده لما خرج من تونس الى القيروان ، فلما كان الحصار ، نجب في تحصين قصبة تونس ، وعمل الاعمال الحسنة ، فزاد به مولانا اغتباطا ، كما يقول ابن مرزوق في المسند : 369 — 370 .

257) ابو حسون : هو علال ابن امصمود المذكور انفا ، والمير = الامير .

421 - قالو لو مات غضنفر الكرا (258)

قال عـلال : لا ورازق الحيتـــان

422 - ما هو الا حي ، سدو الثغرا

واحضوا المـال وصينـوا النسـوان

423 - لمن قال هكذا العرب صفعوه

واهـل القصبـة يشاهـدو عـــلال

424 - لمن راوه بني مرين ذلـــوه

قاموا للسجن وخرجوا في الحـــال

425 - اثنا عشر شيخ من ذوك لوجوه

وعطاوهم زر قادسي وركـــال (259)

• • •

426 - قالوا لم عندنـا اثنـا عشرا

ذلـوه نـذلـوا الجمعـــان (260)

---

258) اي غضنفر الكر ، واسد الحروب ، ويقصد ابا الحسن ، واحضوا : واحرسوا .

259) ذوك : ذكا في الاصل ، وعطاوهم = واعطوهم ، والزر : الصفع ، وزر قادسي ورد في امثال العوام في الاندلس (2 : 237) وكنت حسبت قادسي بكسر الدال نسبة الى مدينة قادس ولكن تبين لي انها بالضم نسبة الى قادس (قادوس) الناعورة ، ومعنى المثل على هذا انه صفع متواصل ومسترسل كاسترسال الماء من قادوس الناعورة اثناء دورانها ، وهذا كالمثل المغربي : القدحي بالرحي ، والطرش بالقرشال ، يقال للاهانة الموجعة .

والجمعان : الجميع .

260) لم = لهم ، ويقصد بالاثنى عشر شيوخ القبائل العربية المسجونيين بالقصبة ، حركة السلطان الى القيروان لتامرهم عليه يومئذ .

427 - ثار بالخيل التقت اخـــرى

رفعـوا عنـو اذا يتـم لبـــلان

428 - لمن (261) عاش بولحسن وجات الناس

ظهـر السنـي وقهـر القـدري (262)

429 - وخلا فيها قتال وحل البـــاس

وبقـت ايـام ازقـتـا تجـري (263)

430 - واسوارهـا هـدمهـم الـريـاس

لرياض الروم لطالع البحـــري (264)

• • •

---

261) يعبر الشاعر هكذا لان الخبر الكاذب بموت ابي الحسن شاع في تونس حيث كان اهله وبعض اولاده ، وفي تلمسان حيث كان ابو عنان ، وفي فاس حيث كان منصور حفيد السلطان ، وكتب رسم شهد فيه خلق كثير من الواصلين الى المغرب من بني مرين ممن شهدوا معركة القيروان (تاريخ الدولتين : 85)

262) السنيون هم المرينيون انصار ابي الحسن ، والقدريون هم اتباع ابن تومرت الموحد ، (راجع قصيدة الرحوي في مقدمة ابن خلدون) ، ووصف اتباع المهدي ابن تومرت بالقدريين يعكس رايا خاصا في عقيدة الموحدين .

263) فيها اي في تونس ، ازقتا = ازقتها ، ويقول ابن خلدون في القتال الذي جرى بتونس بعد هرب ابن تافراجين وانسحاب اصحابه : « واصبحوا وقد تفقدوه ، فاضطربوا واجفلوا عن تونس ، وخرج اهل القصبة من اولياء السلطان فملكوها وخربوا منازل الحاشية فيها » العبر : 820 .

264) رباط الروم او ربض الروم تقدم ذكره ، وطالع البحر : لعله منار تونس ، وقد ذكر ابن خلدون ان السلطان لما عاد الى تونس ووجد اسوارها مهدومة قـام باصلاحها ، « وادار خندقا على المدينة ، واقام لها من الامتناع والتحصين رسما ثبت لها من بعده ، ودفع به نحر عدوه » ، العبر 7 : 574 .

431 – فتخيل لم بعيد اعلى الجدرا (265)
راجل جالس وهو يشير شيّران

432 – لمن طلعوا الرجال على الحجرا
وجدو علال مكبل السيقان (266)

433 – فجروا بعض المزاورا حلوا
علال ورجع لمجلس العزا (267)

434 – قالوا ما الخبر بعد ذا قالوا
ما سكنت جارحه لابن حمزا (268)

435 – حتى سعّ بمحلتو واهلو
لبلاد تونس وضيق الغرزا (269)

* * *

436 – وصبح لم بالمقاتلا شعرا (270)
سيف من برا وسهم من دخلان

---

265) فتخيل لم اي ظهر لهم ، الجدرا = الجدرات .

266) لمن اي لما ان ، والسيقان جمع ساق .

267) المزاورا جمع مزوار ، والمزوار هو الرئيس في لسان زناتة ، العبر 3 : 118) ومجلس العزة : مجلس السلطان .

268) ابن حمزة المقصود به قتيتة الذي اصر على محاربة السلطان .

269) وضيق الغرزا اي شدد الحصار وضيق الخناق .

270) اي صبحهم بجيش كثيف .

437 – وضرب بمحلتو على دورا
بالمرينيا يطامع العربان (271)

438 – فخرج خالد في بعض ناس حتى
لام فتاته وعاتب الحجا (272)

439 – قالوا انت خي والا من شتى (273)
ولا ابن السودا يغير المهجا (274)

440 – ان كان لك أب طاهر البيتا
لك بزولا قبيحة المجا (274)

* * *

441 – لو ربتك في حجرها حرا
أو رضعتك صريحة الالبان

---

271) دورا = دورها اي احاط بها من جميع جهاتها ، وذكر ابن خلدون ان ابا الحسن لما عاد الى تونس ، اجلب العرب وابن ابي دبوس معهم على الحضرة ونازلوا بها السلطان فامتنعت عليهم ، وهذا مصداق ما ذكره الشاعر في هذا القسم ، العبر 6:820

272) خالد : هو خالد بن حمزة من اولاد ابي الليل ، وقد اصبح كما عرفنا من قبضة السلطان بعد ان اطلق سراحه ، وفتاتة ، اخوه لأبيه الذي ظل على حربه للسلطان .

273) اخوة من شتى ، في تعبير الاندلسيين والمغاربة تعني ابناء العلات اي الاخوة غير الاشقاء ، انظر Voc : 398 ومن امثالهم : اخوة من شتى : زيادة في الاعداء ، انظر كتابنا : امثال العوام 2 : 77 .

274) كان فتاتة ابن امة كما عرفنا ، وقد لقبه ابن خلدون : ابن داية اي الغراب لسواده ، (العبر 6 : 827)

275) البزولة : الثدي ، وكذلك المجة (انظر Voc ص 467)

442 – ماعتق خاك بولحسن من الشفرا (276)

وجزيت بالجفا وبالهجران

443 – رد عليه (277) في الجواب كلام موزون

ما نامر بالخلاف ولا نرضاه

444 – خلّ هذا في موضعي مرهون

حتى يرجع لك الذي رباه

---

(276) الشفرة ، وهي السكين العريضة ، يشير الى ان السلطان عفا عنه .

(277) مقتضى السياق ان الجواب لفتيتة وانه ترك ولده رهينة ، والذي في العبر (6 : 820) ان الرهينة كان حمزة بن عمر ، وعمر هو كبير اخويه : خالد المنحاز الى ابي الحسن ، وفتيتة المخالف له ، وهذا ما يدل عليه كلام الشاعر ايضا فيما بعد ، ويستقيم الكلام اذا قرانا صدره كما يلي : رد عمر في الجواب بكلام موزون .

قال ابن خلدون : « واجلب العرب وابن ابي دبوس معهم على الحضرة (تونس) ، فامتنعت عليهم ، فرجعوا الى مهادنته فعقد لهم السلم ، ودخل حمزة بن عمر اليه وافدا فحبسه الى ان تقبض على ابن ابي دبوس وامكنه منه » (العبر 6 : 844) وقال في مكان اخر في الموضوع نفسه : « ولحق اولاد ابي الليل وسلطانهم احمد بن ابي دبوس بتونس ، احاطوا بالسلطان ، واستبلغوا في حصاره ، وخلصت ولاية اولاد مهلهل للسلطان ، فعول عليهم ، ثم راجع بنو حمزة رايهم في طاعة السلطان ، ودخل كبيرهم عمر اليه في شعبان ، وتقبضوا على سلطانهم احمد بن ابي دبوس ، وقادوه الى السلطان استبلاغا في الطاعة وامحاضا للولاية فتقبل فيئتهم واودع ابن ابي دبوس السجن ، واصهر الى عمر بابنته ابي الفضل فعقد له على بنته واختلفت احوالهم في الطاعة والانحراف » (العبر 7 : 574 – 575) ، ولما تحيز خالد واخوه عمر الى السلطان ، قام اخوهما فتاتة بدعوة الفضل ولد السلطان الحفصي وصهر ابي الحسن واجفل واياه الى القفر كما يقول ابن خلدون (العبر 7 : 589) ولعل ذلك ما عبر عنه الشاعر بانهزامه الى قابس ، وقد نعته الشاعر بالحداد لان العرب تسمي العبيد بالقين او الحداد ، وذكر الشاعر في هذه الابيات ان انصار السلطان شتتوا شمل المحاصرين الاخرين من بني تجين وبني عبد الواد ، واشار الى هروب الفضل الى رؤوس الاسداد دون بغل ولا سائس ، ونجد ابن خلدون يقول في مناسبة اخرى ان الفضل لجا « الى شعاب الجبل راجلا حافيا » (العبر 7 : 587)

445 – ينظر في شباب ولا الجمان مكنون

تتعرف حرمة العرب فوجاه

• • •

446 – فخرج ما بطا ولا رجع لورا

يداخل من هلال الى ذبيان

447 – ساق وراه جيش صب كالمطرا

قدام من هوادج الغزلان

448 – جرع فيهم مدامة للحداد

فتاتة وهزمهم الى قابس

449 – ونفى تجين ورهط عبد الواد

لتلمسان وما بقى منهم فارس

450 – وهرب منو الفضل فروس لسناد

لبجايه دون بغل ودون سايس

• • •

451 – قالوا ورجع عريف من الصحرا

لسلطان بعد ما انجلى الجمعان (277م)

(277م) يقول ابن خلدون : « وخلص عريف بن يحيى الى قومه سويد ، ثم قطع القفر الى المغرب الاقصى ، ولحق بالامير ابي عنان فنزل منه بالطف منزل » العبر 7 : 588 ، وراجع البيت رقم 262 .

452 – وابن العباس صبر على الضرّا
وابن مزني على الجميع رجحان (278)

453 – تالله قد جاح لابو الحسن عنقود
متْخير من فوارس الهجمان

454 – اول حب من الحبوب مسعود
ابن ابراهيم وكان على الزكوات (279)

455 – وخرج من بسكره بمال مسدود
لسلطان بالرحيل وبالبوجات (280)

• •

456 – ثر بالعرب سدت المجرا
قدام كالجراد عمر فدان

278) كان السلطان ابو الحسن عند ما فتح قسنطينة في حركته الى تونس ترك محمد بن العباس بن تاحضريت واليا على قسنطينة كما تقدم ، ولما علم اهلها بواقعة القيروان ثاروا واستدعوا الفضل الحفصي ، وكان في قسنطينة يومئذ بعض اولاد ابي الحسن وعمال من المغرب مع وفود اجنبية ، وكانت محنة صبر لها الوالي المذكور ، وجلى فيها ابن مزني صاحب بسكرة الذي كان موجودا معهم فقد انتقل معه الجموع الى بسكرة وظلوا في ضيافته الى ان قدم بهم على السلطان في تونس ، العبر 6 : [illegible] وانظر رواية اخرى في المسند : 496 — 497 وراجع ما تقدم في رقم 102 .

279) يذكر الشاعر هنا بعض من فقدهم ابو الحسن من خيرة قواد جيشه ، واولهم مسعود بن ابراهيم اليرنياني الذي كان مشرفا على الجبايات (العبر 6 : [illegible]) وخبر مقتله الذي ذكره الشاعر بتفصيل اشار اليه ابن خلدون باجمال فقال : « وعقد لمسعود على بلاد الجريد من افريقية عند فتحه اياها سنة ثمان واربعين ، وكان فيها مهلكه » (العبر 7 : 102) ولا تناقض بين بسكرة عند الشاعر وبلاد الجريد في قول ابن خلدون ، لان بلاد الجريد كانت تطلق على توزر واعمالها ، وعلى بلاد الزاب اي بسكرة واعمالها (المعجب : 355) وجاح : اصابته جائحة .

280) البوجات : العماريات والهوادج ، والكلمة مغربية معروفة .

[illegible] بزرود تلمع وصافنات ضمّرا
طمعت في المال ومدت الاسنان

[illegible] – قال لصحاب وتربة الاسلام
وجهادي في الجزيرة البنيا (281)

[illegible] – ما فيكم فارسا يشير بحسام
غيري مع ذا العصابة السيّا

[illegible] – احضوا قال النسا في ظل علام
وانا سور كل لرنيانيا (282)

• • •

[illegible] – ثم جزا المال على ميات بدرا
وعطى بدرا لكل من لو شان (283)

[illegible] – قال ان عشنا رجعو لي بدرا بدرا
وان متنا من فات بسرْ بان

[illegible] – لمّن عام في العرب وكر وعاد
ما صاب لمرين خبر ولا مخبر

[illegible] – قال لنساه : انساستت لغياد (284)
ما فيها اليوم نقب ولا معجر (285)

281) الجزيرة البنية هي الاندلس ويقال فيها ايضا : اليتيمة ، وتربة الاسلام : هو كقولنا : وحق الكعبة .

282) احضوا اي احرسوا ، وعلام = علم ، ولرنيانيا : بنو يرنيان قبيل المتحدث عنه ، وانظر في بني يرنيان (العبر 7 : 101 — 103) .

283) بدرا = بدرة ، وهي كيس المال .

284) لغياد = الغيد جمع غيداء ، وفي الاصل : انسا ست لغياد .

285) نقب = نقاب ، معجر : هو ثوب تلفه المراة على استدارة راسها .

465 – وعسى من عاشت من بنات لجواد

تتحدث عنّنا بما تبّصر

• • •

446 – شوفو اليوم يابنات عذرا

في خليلكم كف يطحطح (286) الفرسان

467 – فقتل مائة ومات على اثرا (287)

لا حرم الله عرايس الرضوان

68 – وابن أخلفي زعيم بني عسكر

قاتل حتى بقى على جنبو

469 – اما افنى من جماجم الشّقر

فرض الروم ولا قضى هناك نحبو (288)

470 – وفتى ونجاسن الاخضر ولى صفر

بن يحياتن لا عدمت بن عبو

• • •

286) يطحطح : يبدد ويفرق ويهلك .

287) على اثرا = على اثرها .

288) ابن اخلفي : سبق ذكره في رقم 219 ، وشيخ بني عسكر في عهد ابي الحسن هو يحيى بن سليمان ،كبير بني عسكر وشيخ بني مرين وصاحب شوراهم بمجلس السلطان والمخصوص بالصهر من السلطان عقد له على ابنته ، العبر 7 : 534 ، ولعل المذكور هنا ولده ، ومن هذه الاسرة محمد بن العباس وعسكر بن طلحة . انظر العبر 7 : 560 والمسند : 362 – 364 .

والشقر : النصارى ، وفرض الروم = في ارض الروم اي قشتالة .

471 – هو كان الحالف يمين عشرا

تدريع لافسح في مدة الحسران

472 – حتى قتلوه في مضجعو صبرا

كالدود على الحرير ادّ جيان (289)

473 – اما را قلبك أمريني من نار

وما جرع من سموم ومن علقم (290)

474 – اذا خابو يوم رزية المسمار (291)

رشقو سهم او هجم عليه ارقم

475م – قل لي ذل العزيز وماتو الاحرار

والتهمهم بحرّ وايّ بحرّ عام

289) لعله ولد يحياتن بن عبو (وليس عمر) شيخ بني ونكاسن من بني مرين . (التعريف بابن خلدون : 58) . وانظر اسم سيور بن يحياتن الوانكاسني في العبر 7 : 736 – 737 . ولا نعرف اين قتل المذكور خنقا كما يذكر الشاعر . وجيان بلد بالاندلس مشهور بكثرة الحرير . ذكرا بن عبد المنعم الحميري انه كان بجيان ازيد من ثلاثة الاف قرية تربي الحرير . وادي : هنا للاضافة مثل كلمة ديال كذا ومتاع كذا .

ولا فسح : يمكن ان تكون : ولا فتح . والحسران : الحصار .

290) المريني هنا هو ابو الحسن السلطان .

291) رزية المسمار ، لعله يقصد رزية الاسطول ، وكما يكنى عن المركب البحري بالعود يمكن ان يكنى عنه بالمسمار ، لان المركب يتركب من العود والمسمار ، وفي القران الكريم : «وحملناه على ذات الواح ودسر » . ولهذا نظن ان الشاعر يشير الى غرق اسطول ابي الحسن الذي ركبه من تونس سنة 750 هـ وكان يتالف من 600 قطعة حسب بعض الرويات ، ويقال انه مات في الغرق نحو 400 عالم ، وكان غرق الاسطول على ساحل تدلس (دلس) ، وقذف الموج بالسلطان فالقاه على حجر قرب الساحل من بلاد زواوة عاري الجسد » (الاستقصا 3 : 72) . ولعل هذا ما عبر عنه الشاعر بذل العزيز . وكان السلطان يشاهد اختطاف الموج لاصحابه او التهام البحر الهائج لهم كما عبر الشاعر ، وبادر اهل الجفن الوحيد الذي سلم الى السلطان فاحتملوه ، وقد تصايح به البربر من الجبال وتواثبوا اليه ، ولكنهم خابوا كما يقول الشاعر . انظر العبر ، ونفح الطيب 6 : 214 – 216 والاستقصا 3 : 170 – 171 .

475 — فرنا يحمى على خشب خـضـرا

مالـو منفس للنـار ولا دخـان (292)

477 — لو كانت فاس ثكلى وريم حـرا

طول عمرا كان تلبس ابطـان (293)

478 — كذا اهل الدين في عصبتم معنا

كالقـاضي والمـدرس الاكبـر

479 — في كل نهار يدعو لمولنـا

بذا الكرسي وفوق على المنبـر (294)

480 — والمغرب كان في اكبر محنـا

من ضيـم الـذل وزمـان لـ...

• • •

481 —

482 —

(295)

---

292) لعل الشاعر يلمح الى حالة المغرب خلال المواجهة بين ابي الحسن وولده ابي عنان ، ويشبه هذا البيت قول ابن الخطيب (نفاضة الجراب) :

مرجل فوق موقد الغدر يغلـي　　　اضرمت تحته من الشر ...

293) عمرا = عمرها ، وتلبس بطان : لعل معناه تقلب لباسها تحسرا وتضرعا ، كما يفعل في صلاة الاستسقاء وفي المناسبات المؤلمة او يكون معناه تلبس الجلود .

294) في عصبتم = في عصبتهم ، ولمولنا اي لمولانا ، وينبغي ان يكون القاضي والمدرس الاكبر في فاس ، ويمكن ان يستفاد من هذا ان الشاعر كان في فاس ...

295) سقط هنا نقل من القصيدة في الاصل .

483 — كتب الغرب القديم من ارض السوس

لأرض السـاحـل لمنتهـى درعـا

484 — للسلطان المحجب المحبـوس

فـي المشـرق مـن حريقـة الفجعـا

485 — ما اداها لاحمـام ولا طـاووس

الا البوم والغراب ابو الفجعـا

• • •

486 — فيها امولاي هجرتنا هجـرا

لـو ريتنا بعـدك ياحيـاة لـبـدان

487 — نكسوا بالذل حـلـه حمـرا

بعدا (296) كنا في دوحة الريحـان

488 — هذا تمر كف ما امتضغ يحـلا

منهـا طـولت نغمـة الحـادي (297)

489 — لكن ندعو لمن قـدرو عـلا

فبلادي والكرام على الوادي (؟) (298)

---

296) بعدا = بعد ان .

297) لعله يلمح الى قول الزجال الذي كان يتغنى به الحداة وباعة التمر .

غربوك الجمـال ياحضـة　　　مـن مكـان بعيـد
من سجلماسـة ومن قفصـة　　　وبـلاد الجـريـد

نفح الطيب 9 : 477

298) الشطر الثاني من البيت غير واضح في الاصل .

490 – ينصر دولة علي على الجملا (299)

فارض المشرق وفارضنا هـدي (300)

•

491 – نهدي لو مـن بناتـي الصغرا

من هيفات (301) الكفيف بلا اثمـان

492 – والمربى في الاصل وفي الجدرا

صاروية (302) صريحـة الالـبـان

493 – وصلاة الله على النبي المامون

مادرت فاختـا جـواب اختـا (303)

494 – والرضوان والرضى السني المكنون

للخلـفـا الراشدين مـع سـتـا (304)

---

299) علي هو ابو الحسن المريني .

300) ارض المشرق هي افريقية وتونس ، وارضنا هذه اي المغرب .

330) بريد قصائده ، وهيفات = هيفاوات جمع هيفاء .

302) صاروية : هكذا في الاصل ، ولا نعرف مكانا او قبيلة بهذا الاسم ، واقرب شيء الى صورة الكلمة هو صاريوة التي وردت هكذا علما على قبيلة من بني يازغة في اخبار البيدق : 71 وبيوتات فاس : 43 والشوف : 288 وسلوة الانفاس : 1 : 18 والروض لابن عيشون : 139 واليها ينسب سيدي بوغالب الصاريوي دفين حومة صاريوة في فاس ، وقد اطال فيه مؤلف السلوة ، ويقال ايضا صريوة (التقاط الدرر 1 : 208) ، والظاهر ان هذه الصيغة تتعرض للتحريف في الكتابة والنطق فهي مثل بطوية وبطوة وبقوية وبقيوة ، وقوله : صريحة الالبان ، يحتمل ان يكون على الحقيقة بمعنى جيدة الالبان او على المجاز بمعنى انها حرة صحيحة النسب ، وقد ورد نفس الوصف عند الشاعر بهذا المعنى في موضع اخر (رقم 441)

303) فاختا = فاختة اي حمامة ، اختا = اختها

304) مع ستا مع ستة : يقصد بقية العشرة المبشرين بالجنة .

[illegible] – واستغفر ياكفيف لابن حسون (305)

وتفكـر ما ذكـر في عام سـتـا :

• • •

[illegible] – فجعني صيحة النجيب بكـرا

حـين رحـلـو ركـائـب الـغـزلان

[illegible] – وامست من بعدم الديار قفـرا

مافيهم لا انـس ولا عمـران (306)

كملـت والحمـد لله رب الـعـالمـيـن

---

305) انظر ما كتبناه عن ابن حسون هذا في المقدمة .

306) يظهر ان هذا القفل الاخير في ملعبة الكفيف هو مطلع ملعبة للشاعر الزجال ابن حسون المذكور ، ومن بعدم = ومن بعدهم .